

بغیة الطالب لإیمان ابی طالب - محمد بن رسول برزنجی شافعی، تصحیح و تحقیق:

سید مجتبی میرشاه‌ولدی - حمید سلیم گندمی

فصلنامه تخصصی مطالعات قرآن و حدیث سفینه

سال سیزدهم، شماره ۴۹ «ویژه حضرت ابوطالب علیه السلام»، زمستان ۱۳۹۴، ص ۱۲۳-۱۶۴

بغیة الطالب لإیمان ابی طالب

عبدالرسول برزنجی شافعی (متوفی ۱۱۰۳)

تصحیح و تحقیق: سید مجتبی میرشاه‌ولدی *

حمید سلیم گندمی **

چکیده: بغیة الطالب لإیمان ابی طالب، رساله‌ای در اثبات ایمان ابوطالب از محمد بن رسول برزنجی دانشور شافعی (متوفی ۱۱۰۳ ق) است. وی سخن را با تعریف اسلام و ایمان آغاز می‌کند و به نقل از محدثان و متکلمان سنی، سخن گفتن به لفظ توحید و نبوت را شرط انحصاری ایمان نمی‌داند، بلکه هر کاری را که ایمان به خدا و رسول را نشان می‌دهد، نشان دهنده ایمان می‌داند. به نظر وی، بر اساس اشعار و مواقف ابوطالب، باید او را در شمار پیشکسوتان در ایمان به پیامبر دانست. آنگاه به برخی از اشکالهایی که در این زمینه مطرح شده، پاسخ می‌گوید. برزنجی پیش از این رساله، رساله‌ای دیگر به نام سداد الدین نگاشته که در این نوشتار، به آن ارجاع می‌دهد.

کلیدواژه‌ها: برزنجی، محمد بن رسول (م ۱۱۰۳ ق)؛ بغیة الطالب لإیمان ابی طالب (کتاب)؛ ایمان ابوطالب - دانشمندان اهل تسنن؛ سداد الدین (کتاب).

*. پژوهشگر مؤسسه کتابشناسی شیعه قم.

** عضو هیئت علمی سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران، دانشجوی دوره دکتری دانشگاه آزاد، واحد تهران شمال.

السيد الشريف محمد بن رسول (عبد الرسول) الحسيني البرزنجي الشافعي
الشهرزوري ثم المدني (١٠٤٠-١١٠٣ هـ)

محمد بن رسول الحسيني البرزنجي، در «شهرزور» یکی از قریه های «برزنج» در سال ١٠٤٠ متولد شد و بعد از مراحل رشد، از اساتیدی فاضل همچون ملا زیرک و علامه ثانی ملا شریف الصدیقی الکورانی بهره برده و برای اخذ علوم و سپری کردن مراتب علمی به شهرهایی مانند ماردین، حلب، یمن و دمشق شام و روم و مصر و بغداد مسافرت کرد و از علمای این دیار بیشترین بهره‌ها را برد. بعد از آن راهی مدینه منوره شده و از محضر عارف ربانی، علامه شیخ ابراهیم کورانی و عارف بالله شیخ احمد قشاقشی کسب فیض نموده و طریقه صوفیه را برگزید و تا پایان عمر در مدینه منوره بود تا این که در سال ١١٠٣ هـ فوت کرد. برخی از آثار ایشان عبارتند از: أنهار السلسيل لرياض أنوار التنزيل ومزاج الزنجبيل لحياض اسرار التأويل في التفسير، ضياء السراج في ليلة الاسراء والمعراج، الإضاءة لاشراط الساعة، بغية الطالب لايمان أبي طالب، النفحة الفايحة في مسائل الفاتحة و غيره.

بغية الطالب لايمان أبي طالب، از جمله آثار ایشان است که در کتابخانه مجلس شورای اسلامی موجود است. بعد از در اختیار قرار گرفتن این نسخه، تایپ و بازخوانی نسخه و تخریج مصادر آن صورت گرفت تا به عنوان مقاله‌ای علمی در مجله سفینه چاپ شود. این خدمت کوچک را به پیشگاه مقدس حضرت ابوطالب عليه السلام تقدیم داشته به امید آن که اندیشمندان و فرهیختگان، بدور از هر گونه تعصبی از آن استفاده کنند. سزاوار است کمال تشکر و قدردانی خود را از جناب حجت الاسلام و المسلمین حاج شیخ اسماعیل بحرانی داشته باشم که با در اختیار قرار دادن این نسخه روشنگر راه حق و حقیقت گردیدند و از خداوند

متعال توفیق روز افزون را برای ایشان و تمام کسانی که در این راه زحمت کشیدند، خواستارم.

بسم الله الرحمن الرحيم ملهم الصواب لذوى الالباب الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين و على آله و صحبه اجمعين اما بعد فاننا لما اثبتنا نجاته الوالدين الشريفين بالادلة الثابتة و رددنا شبهات المعارضين و سلطنا فى ذلك طريق الانصاف و نصبنا ميزان العدل فى طرفى القبول و الرد فى رسالة سمينها **سداد الدين و سداد الدين** احببنا ان نؤلف اخرى فى اثبات نجات عمه ابي طالب تتميماً للفائدة و تكميلاً لجاه سيد الاولين و الآخرين المبعوث رحمة للعالمين فضلاً عن الاهلين و الاقربين و نستمد من الله تعالى و روحانية رسول الله صلى الله عليه و سلم سمينها **بغية الطالب لإيمان ابي طالب و لنقدم بين يدي الشرع مقدمة على سبيل الاختصار**

(ربنا اننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفر عنا سيئاتنا و توفنا مع الابرار)^١

قال القاضى عضدالدين فى المواقف فى المقصد الاول من المرصد الثالث من الموقف السادس حقيقة الايمان عندنا و عليه اكثر الائمة كالقاضى و الاستاد، التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة فتفصيلاً فيما علم تفصيلاً و اجمالاً فيما علم اجمالاً.

قال شارحه الشريف يعنى بقوله عندنا اتباع الشيخ ابي الحسن و وافقهم على ذلك الصالحى والراوندى من المعتزلة قال فهو فى الشرع تصديق خاص انتهى.^٢

وساق الادلة على ذلك و قال الفاكهاني فى شرح الاربعين النووية: "الاسلام شرعا هو الانقياد بالافعال الظاهرة الشرعية" و لذلك قال صلى الله عليه و سلم فيما رواه انس رضى الله عنه الاسلام علانية و الايمان فى القلب^٣ رواه ابن ابي شيبه فى مسنده و الايمان فى الشرع التصديق بالقواعد الشرعية كما نبه عليه فى هذا الحديث قال بعض من تكلم على هذا الحديث يعنى حديث جبريل فى الايمان و الاسلام قد استفدنا من هذا الحديث ان

١. آل عمران (٣): ١٩٣.

٢. المواقف، ج ٣، ص ٥٣٣.

٣. مسند أحمد، ج ٣، ص ١٣٤-١٣٥.

الاسلام و الايمان حقيقتان متباينتان لغة و شرعا كما دل عليه حديث جبريل هذا وغيره. غير ان الشرع قد توسع فيهما فاطلق اسم كل منهما على حقيقة الآخر و هو من باب التوسع و التجوز على عادة العرب في ذلك انتهى حاصله.

اقول الحق انهما كما قال متباينان مفهوما و لكنهما بينهما عموم و خصوص من وجه صدقا فيجتمعان في المصدق المقر بالشهادتين و ينفرد الاسلام في المنافق و الايمان في المصدق اذا لم ينطق بالشهادة و لكن انما يكون مؤمنا بينه و بين الله اما في ظاهر الشرع فهو كافر. و هذا معنى قول الفاكهاني وغيره ان المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الاحوال و لا يكون في بعضها والمومن مسلم في جميع الاحوال فكل مسلم مومن و ليس كل مؤمن مسلما انتهى^۱.

اي شرعا فقد قال العلامة الشريف في شرح المواقف : لو علم انه شد الزنار لا لتعظيم دين النصرى و اعتقاد حقيقة لم يحكم بكفره فيما بينه و بين الله تعالى كما في سجود الشمس انتهى^۲.

و قال السغناقي في السديد شرح التمهيد رحمه الله تعالى ان كون الايمان هو التصديق فقط هو الرواية الصحيحة عن الامام ابى حنيفة رحمه الله تعالى. و قال الشيخ قاسم في حاشية المسامرة هذا القول مروى عن ابى حنيفة رحمه الله نص عليه في كتاب العالم و المتعلم و هو اختيار الشيخ ابى منصور والحسين بن الفضل و المحققين من اصحابنا و وجه ذلك ان الايمان عند تعارف ارباب اللسان هو التصديق فحسب و ان التصديق لما كان امرا باطنيا لا يوقف عليه و لا يمكن بناء احكام الشرع عليه جعل الشرع العبارة عما في القلب بالاقرار اشارة على التصديق و شرطا لاجراء الاحكام قال و الدليل على صحة ما ذكرنا جواب النبى صلى الله عليه و سلم لسؤال جبريل بقوله ان تؤمن بالله و ملائكته الى آخر ما ذكرته انتهى ملخصاً و هو مأخوذ من الكفاية للصابوني.

و عبارة كتاب العالم والمتعلم الايمان هو التصديق و المعرفة و اليقين والاقرار هو الاسلام و الناس في التصديق على ثلاثة منازل فمنهم من يصدق بالله و بما جاء منه بقلبه

۱. شرح صحيح مسلم، ج ۱، ص ۱۴۵.

۲. شرح المواقف، ج ۸، ص ۳۳۲.

۳. السنن الكبرى، ج ۱۰، ص ۲۰۳.

و بلسانه ومنهم من يصدق بلسانه و يكذب بقلبه و منهم من يصدق بقلبه و يكذب بلسانه. فمن صدق بقلبه و بلسانه فهو مؤمن عندالله و عندالناس ومن صدق بلسانه و كذب بقلبه كان عندالله كافراً و عندالناس مؤمناً لان الناس لا يعلمون ما فى قلبه و عليهم ان يسمّوه مؤمناً بما ظهر لهم من الإقرار بهذه الشهادة و ليس لهم ان يتكلفوا علم القلوب و منهم من يكون عندالله مؤمناً و عندالناس كافراً و ذلك بان الرجل يكون مؤمناً بالله و يظهر الكفر بلسانه فى حال التقيّة فيسمّيه من لا يعرف انه يتقى كافراً و هو عندالله مؤمنٌ انتهى بلفظه.^١ وقال قبل هذا بفصول من آمن بلسانه و لم يؤمن بقلبه لم يكن عندالله تعالى مؤمناً و من آمن بقلبه و لم يتكلم بلسانه كان عندالله مؤمناً انتهى.

و قال بعده بفصول انا نسمّى اناساً مؤمنين بما يظهر لنا منهم و عسى ان يكونوا عندالله كافراً و آخرين نسمّيهم كافراً بما يظهرون لنا من زى الكفار من غير ان يكون فيهم من زى المؤمنين و عسى ان يكونوا عندالله مؤمنين من قبل ايمانهم بالله من غير ان نعلم ذلك مهنم فلا يؤاخذنا الله بذلك لأنه لم يكلفنا علم القلوب و السرائر انتهى بلفظه و هو غاية فى التحقيق و بالله العون و التوفيق.

و قال الشيخ ابن حجر فى شرح الاربعين: و اما ما وقع للنووى فى شرح مسلم من نقله اتفاق اهل السنة من المحدثين و الفقهاء والمتكلمين على ان من آمن بقلبه و لم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلداً فى النار فمعترضٌ بانه لا اجماع على ذلك و بان لكل من الأئمة الأربعة قولاً انه مؤمنٌ عاصي بترك التلفظ بل الذى عليه جمهور الاشاعره و بعض محققى الحنفية كما قال المحقق الكمال ابن الهمام و غيره ان الاقرار باللسان انما هو شرطٌ لإجراء احكام الدنيا فحسب انتهى.

و قال العلامة العيني فى شرح البخارى ان الاقرار باللسان قال بعضهم شرطٌ لإجراء الاحكام حتى ان من صدّق الرسول فى جميع ما جاء به فهو مؤمنٌ فيما بينه و بين الله و إن لم يقرّ بلسانه و قال حافظ الدين النسفى: هو المروى عن ابى حنيفة و اليه ذهب الاشعري فى اصحّ الروايتين و هو قول ابى منصور الماترىدى. انتهى الغرض من كلام العيني.^٢

١. الطبقات السنّية فى تراجم الحنفية، ج ١، ص ٤٩.

٢. عمدة القارى، ج ١، ص ١٠٣.

وقد قرر الغزالي رحمه الله هذا المذهب فى الاحياء و غيره من كتبه و اطال فيه و هو قول امام الحرمين و قد تقدّم عن المواقف انه قول الاشاعرة و قول القاضى و الاستاد و عن شارحه انه قول جمع من المعتزلة و نسبه التفتازانى الى جمهور المحققين و ايد هذا القول شيخنا سلمه الله تعالى فى قصد السبيل و استدل له باحاديث منها: قوله صلى الله عليه و سلم "من علم ان الله ربه و انى نبيه صادقاً بقلبه و اومى الى جلدة صدره حرم الله لحمه على النار" رواه الطبرانى فى الكبير عن عمران بن حصين.^۱

و منها قوله صلى الله عليه و سلم "من مات و هو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة" رواه الشيخان عن عثمان بن عفان.^۲

و منها "من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة"^۳ رواه الطبرانى عن سلمة بن نعيم الاشجعى قال: قلت يا رسول الله و ان زنى و ان سرق قال و ان زنى و ان سرق.

و منها قوله صلى الله عليه و سلم "لا يدخل النار احد فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان"^۴ اخرجه مسلم عن ابن مسعود و منها "من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة" رواه مسلم عن ابن مسعود و جابر.^۵

اقول و فى احاديث الشفاعة من هذا شىء كثير حتى يقال له صلى الله عليه و سلم اخرج من النار من فى قلبه ادنى ادنى من مثقال حبة خردل من ايمان. ادنى ثلاث مرات و هو فى صحيح مسلم^۶ و سنورد بعضها فى فصل.

و نقل التفتازانى فى شرح المقاصد و ابن الهمام فى المسامرة و ابن حجر فى شرح الاربعين ان شرط نجاته فى الآخرة اذا لم يطالب به فامتنع عناداً

اقول المراد عناداً للاسلام و عبارة التفتازانى على وجه الاباء اى والمراد الاباء عن الاسلام و يفهم من هذا القيد انه لو ترك النطق بعد المطالبة لا اباءً عنه عناداً بل لخوف

۱. المعجم الكبير، ج ۱۸، ص ۱۲۴.

۲. مسند أحمد، ج ۱، ص ۶۵؛ السنن الكبرى، ج ۶، ص ۲۷۴، حديث ۱۰۹۵۳.

۳. مسند الشاميين، ج ۲، ص ۱۱۵، حديث ۱۰۲۰.

۴. صحيح مسلم، ج ۱، ص ۶۵.

۵. صحيح مسلم، ج ۱، ص ۶۵.

۶. صحيح مسلم، ج ۱، ص ۱۲۶.

من ظالم او من ملامة او مسبة عند من يعظم ذلك و يتحرج منه و قلبه مطمئن بالايمان انه لا يكون كافراً بينه و بين الله بل لو تكلم بالكفر و الحالة هذه لا يضره و هو كذلك قال تعالى (الا من اكره و قلبه مطمئن بالايمان)^١ و قد بسطنا القول على بيان الايمان فى انهار السلسبيل و مزاج الزنجبيل و فى مرقة الصعود فراجعهما ان شئت.

ثم ليعلم ان المراد بالنطق بالشهادتين ليس النطق بخصوصهما خلافاً للغزالي رحمه الله كما ذكر النووى فى الروضة و نسبه الى الجميع فنقل عن الحلیمی فى منهاجه انه قال: لا خلاف ان الايمان ينعقد بغير القول المعروف و هو كلمة لا اله الا الله حتى لو قال لا اله غير الله او ما عدا الله او سوى الله او ما من اله الا الله او لا اله الا الرحمن او لا رحمن الا الله او البارى فهو كقوله لا اله الا الله انتهى^٢.

و كذا قالوا فى الشهادة الثانية حتى لو قال محمد نبى الله او مبعوثه او احمد او الماحى او غير ذلك او ما يؤدى ذلك باللغات العجمية صحّ اسلامه و حكم بكونه مسلماً اذا علمت فنقول تواترت الاخبار ان ابا طالب كان يحب النبى صلى الله عليه و سلم و يحوطه و ينصره و يعينه على تبليغ دينه و يصدقه فيما يقول و يأمر اولاده كجعفر و على باتباعه و نصره و كان يمدحه فى اشعاره و انه قد نطق بحقيّة دينه

فمن كلامه المعروف بين الخاصّ و العام

و لقد علمت بان دين محمد
من خير اديان البرية ديناً^٣
لولا الملامة او حذارى سبة
لوجدتني سمحاً بذاك ميّناً^٤

و قال

الم تعلموا انا وجدنا محمداً رسولاً كموسى صحّ ذلك فى الكتب^٥
و قد وصى قريشاً عند موته باتباعه و قال: والله لكانى به قد غلب و دانت له العرب و العجم فلا يسبقنكم اليه سائر العرب فيكونوا اسعد به منكم

١. النحل (١٦) : ١٠٦.

٢. روضة الطالبين، ج ٧، ص ٣٠٢.

٣. طبقات الشافعية الكبرى، ج ١، ص ٨٨.

٤. الكشف و البيان عن تفسير القرآن، ج ٤، ص ١٤٢.

٥. طبقات الشافعية الكبرى، ج ١، ص ٨٨.

فقد حصل منه التصديق بقلبه بل و بلسانه فعلى هذا فهو فى الآخرة ناجٍ و يدخل الجنة فان قلت قد صحَّ الحديث بكفره و بكونه فى النار فلا يمكنك القول بنجاته لانه صلى الله عليه و سلم قد اخبر بحاله فيما بينه و بين الله تعالى فى الآخرة فدلَّ على انه لم يكن مصدقاً بقلبه و ما صدر منه من نصرة النبى صلى الله عليه و سلم كان من باب حمية العرب و الانفة من ان يعتال ابنه من بين يديَّ و قد كفله بذلك عبدالمطلب الى غير ذلك

قلت الجواب ان نفس الحديث الذى ذكرت يدلُّ على نجاته و ذلك ان الله تعالى قد اخبر عن الكفار بانهم لا يخفف عنهم من عذابها^۱ و بانهم^۲ لا يفتر عنهم^۳ و بانهم^۴ هم منها بمخرجين^۵ الى غير ذلك و قد صحَّ انه فيه نزل ما كان للنبي الى قوله انهم اصحاب الجحيم^۶ و قد ورد فى الاثر الصحيح ان الجحيم هى الطبقة السادسة من النار و اخبر صلى الله عليه و سلم انه اخرج من طمطام النار و غمراتها الى ضحضاح منها و خفف عنه من عذابها و جعل اخفَّ اهل النار عذابا البس نعلين من النار فصارت النار لا تغطى ظهور رجله و ان كان يغلى دماغه من حرِّها فان تأثيرها من داخل جسده و هذه هى اعلى النار لا اعلى منه بحيث ما مسَّت النار الا تحت قدميه و ليس هذه الا فى الطبقة فوقانية التى هى مكان عصاة هذه الامة و قد صحَّ ان هذه الطبقة بعد ما يخرج منها عصاة هذه الامة تنطفى نارها و تصفق الريح ابوابها و ينبت فى قعرها الجرجير ولا يجوز ان ينبت فى قعرها الجرجير و فى قعرها نار تمسُّ تحت القدم فوجب ان يخرج منها ابو طالب بهذه الادلة و كلها صحيحة

ثم نقول قد ورد فى الصحيح انه صلى الله عليه و سلم قال شفاعتى لاهل الكبائر من امتي^۷ و فى لفظ لمن لم يشرك بالله شيئاً و اللام للاختصاص مثل الحمد لله و معناه شفاعتى مختصة باهل الكبائر و يؤيده ما رواه ليث عن مجاهد عن ابى هريرة مرفوعاً انما

۱. لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ. البقرة (۲): ۱۶۲.

۲. لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ. الزخرف (۴۳): ۷۵.

۳. وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ. الحجر (۱۵): ۴۸.

۴. التوبة (۹): ۱۱۳.

۵. سنن أبى داود، ج ۲، ص ۴۲۱، حديث ۴۷۳۹.

الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من امتي^١ أَلحديث اوردده القرطبي في التذكرة هكذا بلفظ انما الدال على الحصر يعنى ان الشفاعة التي لغفران الذنوب تختص باهل الكبائر فان الصغائر تكفرها اجتناب الكبائر و الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين لان الله لا يغفر ان يشرك به و اذا لم تغفر لا تدخل تحت الشفاعة لان كل عذاب فى مقابلة ذنب ما لم يغفر ذلك الذنب لا يرفع عنه العذاب الذى فى مقابلته و اذا لم يغفر الشرك صدق انه لا تنفعه شفاعة الشافعين و الشافعين جمع محلى باللام يفيد العموم فتدخل شفاعته صلى الله عليه و سلم

و قال ابن عباس فى قوله تعالى (لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا)^٢ العهد قول لا اله الا الله^٣ فدل على انه لا شفاعة لغير موحد قال الامام فى اسرار التنزيل الذى يدل على صحة قول ابن عباس وجوه: الاول ان قوله (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) نكرة فى سياق الثبوت و ذلك لا يفيد الا عهدا واحدا ثم اجمعنا على ان ماسوى الايمان فان الواحد منه بل مجموعه لا يفيد تلك الشفاعة البتة فوجب ان يكون ذلك العهد الواحد الذى يفيد تلك الشفاعة هو الايمان انتهى و قال تعالى (و لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق)^٤ قال الامام يعنى قول لا اله الا الله^٥ فان قلت هذا التفسير لهاتين الآيتين يدل على ان موجب الشفاعة شهادة ان لا اله الا الله و لا كلام فيه و انما الكلام فى من صدق بقلبه و لم يتشهد قلت اما اولاً فان الكلام فى اختصاص الشفاعة بالموحد و عدم تجاوزها للمشرك و الايتان نص فيه

و اما ثانياً فقد قال الامام فى اسرار التنزيل قال بعض العلماء فى قوله صلى الله عليه و سلم أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله^٦ ان الله جعل العذاب عذابين احدهما

١. الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، ج ٦، ص ٣٩٣.

٢. مريم (١٩): ٨٧.

٣. جامع البيان عن تأويل آى القرآن، ج ١٦، ص ١٦٠، حديث ١٨٠٤٨، فيه: «العهد: شهادة أن لا إله إلا الله».

٤. الزخرف (٤٣): ٨٦.

٥. معانى القرآن، ج ٦، ص ٣٩٠.

٦. كتاب الام، ج ٤، ص ١٨٢.

السيف فى يد المسلمين و الثانى عذاب الأخرة فالسيف فى غلاف يرى و النار فى غلاف لا يرى فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه و سلم من اخرج لسانه من الغلاف المرئى و هو الفم فقال لا اله الا الله ادخلنا السيف فى الغمد الذى يرى و من اخرج لسان القلب من الغلاف الذى لا يرى و هو السر فقال لا اله الا الله الا الله اى فى قلبه ادخلنا عذاب الاخرة فى غمد الرحمة حتى يكون واحد بواحد و لا جور انتهى^۱

و الحاصل ان النافع فى دفع العذاب الاخرى هو القول القلبى فقط و فى دفع العذاب الدينوى هو القول اللسانى فقط و اذا علمت انه لا شفاعة لغير الموحد بقلبه علم انها مختصة بالموحدين المومنين بقلوبهم و ابو طالب قد خفف عنه العذاب و اخرج من غمرات النار الى ضحضاح النار و قد نالته و نفعته الشفاعة بنص الأحاديث الصحيحة فوجب ان يكون من اهل الكباير ما عدا الكفر و وجب ان يخرج من النار لانه صار من عصاة الامة الذين فى الطبقة العليا و كل من كان كذلك يخرج و هذا معنى قوله صلى الله عليه و سلم ارجوله من ربى كل خير حين سئل اترجو لابى طالب خيراً^۲

فان قلت قد اثبت العلماء له صلى الله عليه و سلم نوعاً من الشفاعة و هى التخفيف عن الكفار قلت انما اثبتوا ذلك بشفاعته لابي طالب فهو أول الدعوى فانا اثبتنا بشفاعته ايمانه و ان كان لهم دليل آخر فليذكر حتى ننظر فيه نعم ان ارادوا الكفار فى ظاهر الشرع فيرجع النزاع لفظياً ثم ان اسم النار للطبقات كلها و قد اخبر صلى الله عليه و سلم ان اباطالب اخف اهل النار على الأطلاق و بين وجه ذلك بان النار لا تمس الا تحت قدميه و فى صحيح مسلم عن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال "ان اهون اهل النار عذابا يوم القيمة رجلٌ فى اخص قدميه^۳ جمرتان يغلى منهما دماغه^۴ و لعل هذا ابوطالب و عبر فى الحديث الآخر بنعلين لان الجمره اذا كانت لاصقة بالاصم كان شبه النعل و فيه ايضا عن سمرة بن جندب ان النبى صلى الله عليه و سلم قال منهم من تاخذ النار الى كعبيه و منهم من تاخذ النار الى ركبتيه و منهم من تاخذ النار الى حجزته و منهم من تاخذ

۱. فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ۲، ص ۲۳۹.

۲. الطبقات الكبرى، ج ۱، ص ۱۲۴-۱۲۵.

۳. أخصم القدم: باطنها الذي لا يصيب الأرض. مجمع البحرين، ج ۴، ص ۱۷۰.

۴. صحيح مسلم، ج ۱، ص ۱۳۵ فيه: «... لرجل توضع في أخص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه».

النارالى ترقوته^١ و فى رواية حقوقه مكان حجزته و بين القتيبي فى عيون الاخبار^٢ ان ذلك بسبب اختلاف اعمالهم و انهم من اهل التوحيد فروى عن ابى هريرة مرفوعاً اذا قضى الله من خلقه و زادت حسنات العبد دخل الجنة و ان استوت حسناته و سيئاته حبس على الصراط اربعين سنة ثم بعد ذلك يدخل الجنة وان زاد سيئاته على حسناته دخل النار من باب التوحيد فيعذبون فى النار على قدر اعمالهم فمنهم من تنتهى له النار الى كعبه و منهم من تنتهى الى ركبته و منهم من تنتهى الى وسطه

قال القرطبي فى التذكرة و ذكر الفقيه ابن بركان ان حديث مسلم فى معنى قوله تعالى (و لكل درجات مما عملوا)^٣ الآية قال و ارى والله اعلم ان هولاء الموصوفين فى الحديث اهل التوحيد فان الكافر لا تعاف النار منه شيئاً فكما اشتمل فى الدنيا على الكفر تشمله النار فى الآخرة قال الله تعالى (لهم من فوقهم ظلل من النار و من تحتهم ظلل)^٤ انتهى

اقول قد سمعت ان حديث ابى هريرة عند القتيبي المارّ أنفاً قد صرح انهم من اهل التوحيد و لذا يدخلون من باب التوحيد فان الكافر لا حسنات له حتى تزداد أو تساوى أو تنقص و روى ابو نعيم عن كعب الأخبار فى حديث طويل ان الله تعالى يقول عندما تدخل عصاة هذه الأمة يا مالك هو للنار لا تحرق استنهم فقد كانوا يقرؤون القرآن يا مالك قل للنار تاخذهم على قدر اعمالهم فمنهم من تاخذ النار الى كعبه بمثل ما تقدم و اذا كان العذاب الغير المشتمل عذاب عصاة الموحدين دون الكافرين فان النار تشملهم و جب ان يكون ابو طالب موحداً بقلبه و متصفاً بالتوحيد القلبي الذى مدار أمر الآخرة و حسابها عليه و الا لاشتملته النار كما اشتملتهم و ايضا فقد ثبت انه اهون اهل النار عذاباً كما مرّ بيانه أنفاً فلا يجوز ان يكون كافراً لان فى المؤمنين من صح الاخبار عنهم فى ذنب واحد كالغلول أو العقوق أو تعذيب الهرة او التبخر بعذاب اكبر من هذا و لو كان كافراً لكان عذاب الكفر فوق العذاب الكبار قطعاً هذا ما نشك فيه فان الكفر اكبر الكبار و لا يغفر بخلاف بقية الكبار و لو وجد مؤمن عاص اخف عذاباً من ابى طالب لزم الخلف فى قول

١. صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٥٠ (بإختلاف يسير).

٢. لعلّ الصحيح «ابن القتيبة فى عيون الاخبار».

٣. الأنعام (٦): ١٣٢.

٤. الزمر (٣٩): ١٦.

الصادق حيث جعله اخف اهل النار على الاطلاق فوجب ان يكون عذابه كعذاب عصاة المؤمنين فى مقابلة كبيرة هى ترك النطق بالشهادة ان قلنا انه لم يعتدبه بما نطق به من ذلك كما هو ظاهر الصحيحين و ان قلنا بالاعتداد به أو بانه قد نطق به كما قد روى عن العباس رضى الله عنه انه قال يا ابن اخى قد قال الكلمة التى امرته ان يقولها اخرجه ابن هشام و ابن سيد الناس فى سيرتهما و غيرهما يكون فى مقابلة فرض آخر لعله ترك الصلاتين اللتين كان يصليهما رسول الله صلى الله عليه و سلم او التهجيد الذى كان فرضاً عليهم اول الأسلام و لا يبعد ان يخفف العذاب عنه لان اكثر واجبات الشرع بل و اركان الأسلام الخمسة غير النطق بالشهادتين لم تكن فرضت اذ ذلك فان الصلوة فرضت ليلة المعراج و هو على الاصح بعد موت ابى طالب و الصيام و الزكاة و الحج و الجهاد و جميع ذلك انما فرضت بعد الهجرة و بقية مكارم الاخلاق كصلة الرحم و اكرام الضيف و حمل الكل و الأعانة على نوائب الحق و نصره رسول الله صلى الله عليه و سلم كان هو أسهأ و معدنهما فان قلت لم يرو انه صلى الله عليه و سلم صلى عليه و لا ورث جعفر و عليا منه قلت هذا انما يرد لو ان النبى صلى الله عليه و سلم سمع منه النطق بالشهادتين و قد ورد انه لما قال العباس ما مرّ قال اما انا فلم اسمعه و حيث لم يسمعه و جب ان يعامله بظاهر الشرع فان النبى صلى الله عليه و سلم كان فى اول الأسلام مأمورا بذلك بل فى اخره ايضا عند الجمهور و انما نقل السيوطى جواز الحكم له بالباطن عن بعض و اختاره فى اواخر حياته صلى الله عليه و سلم على ان المواريث حينئذ لم تفرض و انما كانت الوصية فقد يكون ابوطالب وصى بماله لعقيل فانه كان يحبه كثيرا و من ثم لما طلب منه النبى صلى الله عليه و سلم و العباس ان يخففا عنه بعض عياله قال لهما اذا تركتما لى عقيل فاصنعا ما شئتما أو لان جعفرا كان قد هاجر الى الحبشة و على كان صغيرا فى حجر النبى صلى الله عليه و سلم فقد يكون عقيل اغتصب المال و ترك رسول الله المخاصمة دفعا للشر فان قريشا بعد موت ابى طالب نالوا من النبى صلى الله عليه و سلم ما ارادوا من الاذى كما هو معلوم فقول بعض العلماء ان قوله صلى الله عليه و سلم يوم فتح مكة هل ترك لنا عقيل من دار^۱ معناه ان عقيل ورت اباطالب لانهما كانا على ملة الكفر بخلاف جعفر و على لانهما كانا على الأسلام و لا يتوارث اهل ملتين بعيد عن الصواب لأن هذا الحكم انما نزل

۱. مسند أحمد، ج ۵، ص ۲۰۱ «باختلاف يسير».

بعد موت ابي طالب بزمان علىّ انه يمكن انهم لما هاجروا و تركوا العقار استولى عقيل عليها و باعها على ما كان عادة العرب و لا سيما هو كان حينئذ على الشرك و معادة المسلمين فتصرف في عقارهم و هو اقرب اذ لو كانت الدور الباقية لنزل فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم لقربته فانه يوم الفتح كان مسلما بل كان يفرح بنزول رسول الله صلى الله عليه و سلم فيها و بعدها فخرا ثم رايت ان اقضى القضاة الماوردي صرح بهذا في الاحكام السلطانية و جعل الدور التي باعها عقيل للنبي صلى الله عليه و سلم حيث قال و ورث صلى الله عليه و سلم من امه امنة بنت وهب داربها بمكة التي بين الصفا و المروة التي خلف سوق العطارين و اموالا فاما الداران فان عقيل بن ابي طالب باعهما بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه و سلم فلما قدم مكة في حجة الوداع قيل له افى دورك تنزل فقال و هل ترك لنا عقيل من ربع^١ فلم يرجع فيما باعه عقيل لانه غلب عليه و مكة دار حرب و اجري عليهما حكم المستهلك فخرجت هاتان الداران من صدقاته انتهى بلفظه و فيه ابطال ذلك القول من اصله حيث ظهر ان الذي تصرف عقيل ماله صلى الله عليه و سلم لا مال عمه ابي طالب و هذا يقوى ما ابداه الحافظ ابن حجر في فتح الباري في باب غزوة الفتح في شرح الحديث المتقدم حيث قال و يحتمل ان الهجره لما وقعت استولى عقيل و طالب على ما خلف ابوطالب و كان ابوطالب قد وضع يده على ما خلفه عبدالله والد النبي صلى الله عليه و سلم لانه كان شقيقه و كان النبي صلى الله عليه و سلم عند ابي طالب بعد موت جدّه عبد المطلب فلما مات ابوطالب ثم وقعت الهجرة و لم يسلم طالب و تأخر اسلام عقيل استوليا على ما خلف ابو طالب و مات طالب قبل بدر و تأخر عقيل فلما تقرر حكم الاسلام بترك توريث المسلم من الكافر استمر ذلك بيد عقيل و كان عقيل قد باع تلك الدور كلها و اختلف في تقرير النبي صلى الله عليه و سلم عقيل فاقيل ترك له حقه تفضلا عليه و قيل استمالة له و تاليفا و قيل تصحيحا لتصرفات الجاهلية كما تصحح انكحتهم انتهى^٢.

و قد مر أنفا عن الماوردي انه خرجه على الاستهلاك باستيلاء الكفار عليه في دار الحرب فهذه اربعة اوجة و بالله التوفيق فان قلت غاية ما ذكرت من الدليل ان لا يخفف عنهم و لا

١. السنن الكبرى، ج ٢، ص ٤٨٠ «باختلاف يسير».

٢. فتح الباري، ج ٨، ص ١٢.

يفتر عنهم عام و نحن نقول به و نقول هذا العموم خصص بالحديث الصحيح و تخصيص القرآن بل نسخه بالحديث و لوأحادا هو مذهب كثير من العلماء بل قيل هو المذهب المنصور قلت اذن يخصص عموم (ان الله لا يغفر ان يشرك به)^۱ بهذا الحديث ايضاً اذ لا فرق بين لا يغفر و لا يخفف و الشفاعة النافعة مستلزمة للمغفرة كما تقدم و كذا التخفيف فانه لا يخفف الا و قد غفر الذنب الذى كانت الشدة فى مقابلته فان جوّزتَ التخصيص حتى فى الشرك فقد وسّعت لنا الدائرة وزدتنا حجة والا طولبت بالفرق و انى لك به تبصرة ظهر لى جواب واضح عن قوله تعالى (ما كان للنبي و الذين امنوا ان يستغفروا للمشركين)^۲ الآية و ذلك انى تتبعت الاحاديث الواردة فى سبب نزولها فوجدتها منقسمة الى ثلاثة اوجه: الاول انها نزلت فى ابى طالب، الثانى انها نزلت فى والدة النبي صلى الله عليه و سلم، الثالث انها نزلت فى اباء الناس ماتوا على الكفر كان اولادهم يستغفرون لهم، اما الوجه الثانى فقد ذكرنا الجواب عنه مفصلاً فى رسالتنا سداد الدين.

و اما الوجه الاول فظهر لى انه اختصار من الرواة و ان سبب النزول هو الوجه الثالث لا غير و بيان ذلك ان نزولها فى ابى طالب رواه الشيخان و غيرهما عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال لما حضر ابا طالب الوفاة الحديث^۳ و فى اخره فقال النبي صلى الله عليه و سلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزلت (ما كان للنبي)^۴ الآية و انزل الله فى ابى طالب فقال لرسوله (انك لا تهدى من احببت و لكن الله يهدى من يشاء)^۵ و رواه ابن سعد و ابن عساكر عن على بن ابي طالب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم بموت ابى طالب فبكى فقال اذهب فغسله و كَفَّنَه و واره غفر الله له و رحمه ففعلت و جعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يستغفر له اياماً و لا يخرج من بيته حتى نزل عليه جبرئيل بهذه الآية (ما كان للنبي) الآية^۶ و هذه الراوية مع كونها ضعيفة مخالفة لما صح انها نزلت

۱. النساء (۴): ۴۸.

۲. توبه (۹): ۱۱۳.

۳. الإتيقان فى علوم القرآن، ج ۱، ص ۹۷-۹۸.

۴. الإتيقان فى علوم القرآن، ج ۱، ص ۹۷-۹۸.

۵. القصص (۲۸): ۵۶.

۶. الطبقات الكبرى، ج ۱، ص ۱۲۳.

بالمدينة فان السورة مدنية نزلت بعد تبوك ثم رأينا فاذا على روى عنه من طرق بعضها صحيحة ان السبب في نزولها استغفار ناس لابائهم المشركين فقد روى الطيالسي و ابن ابي شيبة و احمد و الترمذى و النسائى و ابو يعلى و ابن جرير و ابن المنذر و ابن ابي حاتم و ابو الشيخ و الحاكم و صححه و ابن مردويه و البيهقى فى شعب الأيمان و الضياء فى الأحاديث المختارة عن على رضى الله عنه قال سمعت رجلا يستغفر لابويه و هما مشركان فقلت أ تستغفر لأبويك و هما مشركان قال او لم يستغفر ابراهيم لاييه فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه و سلم فنزلت (ما كان للنبي و الذين آمنوا)^١ الاية فهذه الرواية عنه صحيحة و قد وجدنا لها شاهدا من حديث ابن عباس فروى ابن جرير و ابن المنذر و ابن ابي حاتم من طريق على بن ابي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الأستغفار لأمواتهم و لا ينهوا ان يستغفروا للاحياء حتى يموتوا ثم انزل الله (و ما كان استغفار ابراهيم لأبيه^٢) الآية^٣ يعنى استغفر له ما كان حياً فلما مات أمسك عن الأستغفار له و هذا شاهد صحيح و على بن ابي طلحة ثقة جليل و الرواة عنه كذلك و عارضت الرواية المتقدمة عنه فان رجحنا فهذه اصح و ان جمعنا فالجمع مقدم على الترجيح فحاولنا الجمع فوجدنا احاديث يستفاد منها الجمع فروى ابن ابي حاتم و ابو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى قال لما مرض ابوطالب اتاه النبي فقال المسلمون هذا محمد يستغفر لعمه و قد استغفر ابراهيم لأبيه فاستغفروا لقراباتهم من المشركين فانزل الله تعالى (ما كان للنبي و الذين آمنوا)^٤ الاية ثم انزل (و ما كان استغفار ابراهيم^٥) الاية^٥ و روى ابن جرير من طريق شبل عن عمرو بن دينار ان النبي صلى الله عليه و سلم قال استغفر ابراهيم لاييه و هو مشرك فلا ازال استغفر لابي طالب حتى ينهاني عنه ربي فقال اصحابه لنستغفرن لأبائنا كما استغفر النبي صلى الله عليه و سلم لعمه فانزل

١. مسند أحمد، ج ١، ص ٩٩؛ سنن الترمذى، ج ٤، ص ٣٤٤-٣٤٥، الحديث ٥٠٩٩؛ المستدرک، ج ٢، ص ٣٣٥.

٢. التوبة (٩): ١١٤.

٣. عمدة القارى، ج ١٨، ص ٢٧٦.

٤. مسند أحمد، ج ١، ص ٩٩؛ سنن الترمذى، ج ٤، ص ٣٤٤-٣٤٥، الحديث ٥٠٩٩؛ المستدرک، ج ٢، ص ٣٣٥.

٥. التوبة (٩): ١١٤.

٦. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبى حاتم)، ج ٦، ص ١٨٩٥.

الله (ما كان للنبي) الآية الى قوله تبرأ منه^۱ فظهر بهذه الاخبار ان الآية نزلت في استغفار المسلمين لأقاربهم المشركين و ان حديث الصحيحين فيه اختصار و ان الاصل فقال النبي صلى الله عليه و سلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك^۲ فقال المسلمون ان رسول الله يستغفر لعمه نستغفرن لأبائنا فاستغفروا لأبائهم فنزلت في حقهم الآية فاختصر الراوى فحذف منه الجملة الاخيرة و هذا الجمع متعين لأمر أحدها ان السورة كلها مدييه تنزلت بعد تبوك و بينها و بين موت ابي طالب نحو من اثني عشر سنة

ثانيها ان حديث عليّ السابق صحيح و انضم الى صحته الشواهد التي ذكرناها و كون الآية مدنية فلا ينبغي الغاؤها و ترجيح حديث سعيد و ان كان حديث سعيد في الصحيحين اذ قد يرجح حديث غير الصحيحين لأمر تقتضى ذلك و قد صرحوا بهذا في اصول الحديث فقولهم يقدم حديث الصحيحين أو أحدهما ليس على اطلاقه كما حررنا ذلك في شرحنا على الفية السيوطي

ثالثها ان عمّ ابراهيم أزر كان يتخذ اصناما الهة كما حكى الله عنه و كان يقول لابراهيم اترغب عن آلهمتي يا ابراهيم و لم ينقل عن ابي طالب بطريق صحيح انه اتخذ صنما لها أو عبد حجرا أو نهى النبي صلى الله عليه و سلم يوماً عن عبادة ربّه غايته ان يكون ترك النطق بالشهادتين او يكون ترك بعض الواجبات و مع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبي صلى الله عليه و سلم و مثل هذا ناج في الآخرة على مقتضى ديننا فلا يليق بالحكمه و لا بمحاسن الشريعة الغراء و لا بقواعد الأئمة من اهل الكلام ان يكون هو وأزر عم ابراهيم في قرن حاشا من كرم الله تعالى

قال حسان رضى الله تعالى عنه:

امن يهجو رسول الله منكم و يمدحه و ينصره سواء^۳

فان ابا طالب ربّه صغيراً و آواه كبيراً و نصره و ازره و وقّره و دبّ عنه و مدحه بقصائد غرّ و وصّى باتباعه و ليس في حديث عمرو بن دينار المارّ أنفا دلالة قطعية على شركه و قوله استغفر ابراهيم لأبيه و هو مشرك فلا أزال استغفر لابي طالب يمكن ان يكون معناه ان

۱. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ۱۱، ص ۵۷-۵۸.

۲. المحلي، ج ۱۱، ص ۲۱۰.

۳. عمدة القارى، ج ۲، ص ۷۹.

ابراهيم استغفر لأبيه مع شركه فكيف لا استغفر انا لابي طالب مع ان خطيئته دون الشرك فلا ازال استغفرله حتى ينهاني الله و لم يُنه بل نهى عن الأستغفار للمشركين فهو نظير ما قيل في حديث حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار^١ و القصد بذلك عدم كسر قلوب اصحابه حيث انه معهم في ذلك الحكم بحسب الظاهر لا لخصوص عمه

و يصرح بهذا ما أورده في الدر المنثور من طريق ابن جرير عن قتادة ان رجلاً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم سألوه عن الأستغفار لأبائهم فقال و الله انى لأستغفر لأبى كما استغفر ابراهيم لأبيه فانزل الله (ما كان للنبي و الذين امنوا) الاية فقال النبي صلى الله عليه و سلم انى اوحى الىّ كلمات قد دخلن في اذنى و وقرن في قلبى امرت ان لا استغفر لمن مات مشركاً^٢ و ذكر الثلاثة الباقية

و قد ذكرنا في سداد الدين فى مقصد دفع المعارضات فى كلام المعترض مع الجواب فكونه صلى الله عليه و سلم قال لأستغفرن لابي يعنى لعمى ثم لم يقل امرت ان لا استغفر له بل قال لمن مات مشركا جواب لسؤال اصحابه مع اشارة خفية الى ان عمه لم يكن مشركا و الله اعلم

هذا و قد دلت احاديث شفاعته صلى الله عليه و سلم على انه يشفع فى من فى قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل من ايمان كما سنذكر بعضها فى فصل الآن بعون الله الكريم المنان

فصل روى احمد و الطبرانى و البزار عن معاذ ابن جبل و ابى موسى رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "ان ربي خيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة أو شفاعة فاخترت لهم الشفاعة و علمت انها اوسع لهم و هى لمن مات لا يشرك بالله شيئاً"^٣ و روى احمد و ابن ابى شيبه و الطبرانى عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم اوتيت خمساً الحديث و فى اخره و انى اخترت شفاعتى جعلتها لمن مات من

١. سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٥٠١، الحديث ١٥٧٣.

٢. توبه (٩): ١١٣.

٣. الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، ج ٣، ص ٢٨٣ «باختلاف يسير».

٤. مسند أحمد، ج ٥، ص ٢٣٢ «باختلاف يسير»؛ كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب، ج ٢، ص ٢٢٢.

امتی لا یشرک بالله شیئاً^۱ و روی ابن ابی شیبہ و ابو یعلی و ابو نعیم و البیهقی عن ابی ذر قال قال رسول الله صلی الله علیه و سلم اعطیت خمساً و فی اخره و هی نائلة منکم ان شاء الله تعالی من لم یشرک بالله شیئاً^۲ و روی احمد و ابو یعلی عن ابن عباس رضی الله عنهما قال قال رسول الله صلی الله علیه و سلم لم یکن نبی الا له دعوة قد تنجزها فی الدنيا و انی قد اختبأت^۳ دعوتی شفاعة لأمتی و انا سیّد ولد آدم یوم القیمة و لا فخر الحدیث الطویل و فی اخره فارفع راسی فاقول ای رب امتی امتی فیقال اخرج من کان فی قلبه مثقال کذا و کذا ثم اعود فاسجد فاقول مثل ما قلت فیقال ارفع راسک و قل یسمع و سل تعطه و اشفع تشفع فاقول یا رب امتی امتی فیقول اخرج من کان فی قلبه مثقال کذا و کذا دون الأول ثم اعود فاسجد فاقول مثل ذلك فیقال ارفع راسک و قل یسمع و سل تعطه و اشفع تشفع فاقول ای رب امتی امتی فیقول اخرج من کان فی قلبه مثقال کذا و کذا دون الأول^۴ و روی الطبرانی فی الأوسط و الحاکم و صححه و البیهقی عن ابن عباس قال قال رسول الله صلی الله علیه و سلم للانبیاء منابر من ذهب الحدیث و قال فیہ فما ازال اشفع حتی اعطی صکاکا برجال قد بعث بهم الی النار حتی ان مالکا خازن النار یقول یا محمد ما ترکت لغضب ربک فی امتک من نقمة^۵ و روی ابن ابی شیبہ و ابن ابی عاصم فی السنة عن سلمان رضی الله عنه قال تعطی الشمس یوم القیمة حرّ عشر سنین الحدیث الطویل و فی اخره فیشفع فی کل من کان فی قلبه مثقال برّة من ایمان أو مثقال شعیرة من ایمان أو مثقال حبة من خردل من ایمان فذلک المقام المحمود^۶ و روی ابو یعلی عن عوف بن مالک مرفوعا اعطیت اربعا لم یعطهنّ احد کان قبلنا و سالت ربی الخامسة فاعطانیها و قال فی الخامسة و سالت ان لا یلقاه عبد من امتی یوحده الا ادخله الجنة^۷

۱. مسند أحمد، ج ۵، ص ۱۴۵ «باختلاف یسیر».

۲. المصنف، ج ۷، ص ۴۱۱، الحدیث ۱۲ «باختلاف».

۳. اُخْتَبَأْتُ عِنْدَ اللَّهِ خِصَالًا... أَيْ: اُدْخَرْتُهَا وَجَعَلْتُهَا عِنْدَهُ لِي. لسان العرب، ج ۱، ص ۶۲.

۴. مسند أحمد، ج ۱، ص ۲۸۱-۲۸۲.

۵. المعجم الأوسط، ج ۳، ص ۲۰۸ «باختلاف یسیر»؛ المستدرک ج ۱، ص ۶۵-۶۶ فیہ: «... فی امتک من بقیة».

۶. السنة، ص ۳۶۹-۳۷۰، الحدیث ۸۱۳ «باختلاف یسیر»؛ المصنف، ج ۷، ص ۴۱۶-۴۱۷، الحدیث ۳۷ «باختلاف یسیر».

۷. صحیح ابن حبان، ج ۱۴، ص ۳۰۹ «باختلاف».

و اخرج مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه و سلم تلا قول ابراهيم (فمن تعبنى فانه منى و من عصانى فانك غفور رحيم)^١ و قول عيسى (ان تعذبهم فانهم عبادك و ان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم)^٢ فرفع يديه و قال امّتى امّتى ثم بكأ فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى امتك و لا نسؤك^٣ و روى البزار و الطبرانى فى الأوسط عن على كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال اشفع لأمتى حتى ينادينى ربّى ارضيت يا محمد فاقول أى ربّ رضيت^٤ و روى الطبرانى فى الاوسط بسند حسن عن ابى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم اعطيت خمسا و قال فيه و انى اخرت دعوتى شفاعة لأمتى و هى بالغة ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئا^٥ و قد مرّ حديث مسلم انه يقال له اخرج من كان فى قلبه ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل^٦

فانظر هذه الأحاديث كلها بظاهرها تدل على ان النطق بالشهادتين ليس شرطا فى النجاة بل و لا دخل له فيها و الا لما كان قائلها نفاقا فى الدرك الأسفل من النار و ان الشفاعة لا تنال مشركا و قد نالت الشفاعة ابا طالب بنص الحديث الصحيح و نعلم قطعاً انه كان يصدق بنبوة النبى و صدقه و حقّية دينه و كفى بالظاهر دليلا فلا بد من القول بنجاته و اخرج ابن الجوزى عن على رضى الله عنه مرفوعا هبط جبريل علىّ فقال ان الله يقرئك السلام و يقول انى حرمت النار على صلب انزلك و بطن حملك و حجر كفلك اما الصلب فعبد الله و اما البطن فامنه و اما الحجر فعمه يعنى ابا طالب و فاطمه بنت اسد قال ابن الجوزى اسناده كما ترى^٧ قال السيوطى فاطمه بنت اسد امّنت و صحبت و هاجرت رضى الله عنها انتهى

١. ابراهيم (١٤): ٣٦.

٢. المائدة (٥): ١١٨.

٣. صحيح مسلم، ج ١، ص ١٣٢.

٤. المعجم الاوسط، ج ٢، ص ٣٠٧.

٥. المعجم الاوسط، ج ٧، ص ٢٥٧.

٦. صحيح مسلم، ج ١، ص ١٢٦.

٧. الموضوعات، ج ١، ص ٢٨٣ فيه: «... وأما الحجر فعبد يعنى عبد المطلب وفاطمة بنت أسد».

یعنی انه دلیل علی ان الحدیث له اصل و قد رواه ابن الجوزی بسند اهل البيت فقال
 اخبرت عن ابي الحسين يحيى بن الحسين بن اسمعيل العلوی ثنا ابو عبدالله محمد بن بن
 علی بن الحسين الحسنی ثنا زید بن حاجب ثنا محمد بن عمار العطار ثنا علی بن محمد بن
 موسی الغطفانی ثنا محمد بن هارون العلوی ثنا محمد بن علی بن حمزة العباسی ثنا ابي ثنا
 علی بن موسی بن جعفر ثنا ابي عن جعفر بن محمد عن ابيه عن علی بن الحسين عن
 ابيه عن علی بن ابي طالب رفعه هبط جبریل علیّ فذکره و روی تمام الرازی فی فوائده
 بسند يعتدّ به فی المناقب عن ابن عمر رضی الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
 و سلم "اذا كان يوم القيمة شفعت لأبي و أمي و عمي ابي طالب و اخ كان لي فی الجاهلية"^۱
 اورده المحب الطبري فی كتابه ذخائر العقبی فی مناقب ذوی القربی قال السيوطی و هو
 من الحفاظ و الفقهاء قال و قد ورد من طریق آخر ضعيف عن ابن عباس اخرجه ابو نعيم و
 فيه التصريح بان الاخ من الرضاة^۲ قال الطبري ان ثبت فهو مؤولّ فی ابي طالب قلت قد
 ظهر لك انه لا يحتاج الى تأويله و هو شاهد للذی قبله و روی ابو سعيد النيسابوری فی
 شرف النبوة و الملاء فی سيرته عن عمران بن حصين رضی الله عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه و سلم "سالت ربي ان لا يدخل احدا من اهل بيته النار فاعطاني ذلك" و قد
 تقدم حديث ابن عباس فی تفسير قوله تعالى (و لسوف يعطيك ربك فترضى)^۳ ان من
 رضی محمد ان لا يدخل احد من اهل بيته النار^۴ قال السيوطی فهذه عدة احاديث يشدّ
 بعضها بعضا فان الحدیث يتقوى بكثرة الطرق انتهى

قلت و لا سيما فی المناقب و لا منافاة بينهما و بين ما فی الصحيحين من ذكر كفره و
 دخوله النار لما تقدم ان الحكم علی كفره بالنسبة للأحكام الدينويہ نظر الظاهر الشرع و ان
 دخوله النار لأجل ترك فرض من الفرائض و هذا لا يلزم منه خلوده فی النار و ليس بنص
 علی انه مخلد فی النار مع ما مرّ بيان سبب نزول النهی عن الأستغفار من الجمع و لله
 الحمد

۱. الإصابة، ج ۷، ص ۲۰۳.

۲. كفاية الطالب للبيب فی خصائص الحبيب، ج ۱، ص ۸۷.

۳. الضحی (۹۳): ۵.

۴. سبل الهدی و الرشاد، ج ۱، ص ۲۵۳.

و روى ابن سعد فى الطبقات نبأ عفان بن مسلم عن حماد بن سلمه عن ثابت عن اسحق بن عبد الله ابن الحارث قال قال العباس رضى الله عنه يا رسول الله اترجو لابي طالب خيراً قال كل الخير ارجو من ربى^١ اقول عفان بن مسلم اخرج له الستة قال فى التقريب ثقة ثبت قال ابن المدينى كان اذا شك فى حرف من الحديث تركه من كبار العاشرة^٢ و حماد بن سلمة خرج له البخارى فى التاريخ و مسلم فى صحيحه و الأربعة فى السنن قال فى التقريب ثقة عابد اثبت الناس فى ثابت^٣ و ثابت هو البنانى من رجال الستة لا يسال عنه و اسحق بن عبدالله ابن الحارث روى له الاربعة قال فى التقريب صدوق من الثالثة^٤ فهذا السند صحيح ان لم يكن بين اسحق و العباس انقطاع فاذا انضم الى الاحاديث المتقدمة بلغت رتبة الصحة بلا مطعن فتقوم به الحجة و لا سيما و رجاؤه صلى الله عليه و سلم محقق و لا يرجو كل الخير الا لمؤمن و لا يجوز ان يراد بهذا ما حصل له من تخفيف العذاب فانه ليس خيراً فضلاً عن ان يكون كل الخير و انما هو تخفيف الشر و بعض الشر، هون من بعض.

تنبيه ظهر لى فى معنى قوله ليت شعرى ما فعل ابواى^٥ معنى لطيف و هو ان يراد بابويه عماه ابو طالب و ابو لهب اما لان الأب يطلق على العم حقيقة أو مجازاً شايعاً كما مرّ او لأن المراد صاحباً الكنية للذان فى اول اسم كل منهما لفظ الأب و يكون الاضافة لادنى ملابسته و قد كانا مشهورين بالكنية من بين سائر اعمامه صلى الله عليه و سلم فان البقية شهرتهم باسمائهم و الدليل على هذا امور:

احدها ان الاية مدنية و كان اذ ذاك قد نزل حكم اهل الفترة على النبى صلى الله عليه و سلم بقوله تعالى (و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فلا يجوز بعد هذا ان يسال عن ابويه الحقيقيين لانهما دخلا فى عموم اهل الفترة و انهما ليسا معذبين و علم من ذلك

١. الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٢٤-١٢٥.

٢. تقريب التهذيب، ج ١، ص ٦٧٩، الرقم ٤٦٤١ «باختلاف يسير».

٣. تقريب التهذيب، ج ١، ص ٢٣٨، الرقم ١٥٠٤.

٤. تقريب التهذيب، ج ١، ص ٨٣، الرقم ٣٦٦.

٥. زاد المسير فى علم التفسير، ج ١، ص ١٢١.

٦. الاسراء (١٧): ١٥.

حال بقیة اعماله الذین ماتوا فی الفترة و انهم ناجون.

ثانیها ان ظاهر النبی يدل على ان المسئول عنهما قد علم حالهما عند النبی صلی الله علیه و سلم بكونهما من اصحاب الجحیم و لم یکن كذلك الا ابولهب لان ابا لهب قد تبین له صلی الله علیه و سلم فی سورة تبت انه من اصحاب الجحیم حیث قال (سیصلی ناراً ذات لهب)^۱ و ابوطالب حیث طلب منه قول لا اله الا الله و لم یقل ظاهره انه كذلك فلما هاجر و وقع وقعة بدر و مات ابولهب عقبها و اسلم عباس علی ما قیل ان اسلامه قدیم و هو الاصح و قد اخبر رسول الله بذلك فقال اما ظاهرک فقد کان علینا^۲ فلم یأخذه صلی الله علیه و سلم الا بظاهره و لم یکذبه فی دعوی اسلامه فاطمأن قلب النبی صلی الله علیه و سلم من جهة اقاربه ما عدا العمین ابی طالب و ابی لهب فکان یسأل لیت شعری کیف عذابهما و فی ای طبقة هما من النار فانزل الله تعالی (و لاتسال عن اصحاب الجحیم)^۳ و النهی هنا للتحويل ای لا تسال عن شدة عذاب من اخبرناک عنه سابقاً انه من اصحاب الجحیم و هو ابولهب فان عذابه شدید و اما الذی لم نخبرک به و هو ابوطالب فیرجى له الخیر فاخبر النبی صلی الله علیه و سلم عن ابی طالب بعد ذلك بانه یرجو له من ربه کل الخیر و بانه یشفع له مع ابویه كما تقدم و اخذ بناء علی ما جبله الله علیه من الرحمة فی الاستغفار لابی لهب و قال غایة ما یكون فی عقوقه کعم ابراهیم أزر و ما منعه عقوقه عن استغفاره له فقال لآستغفرن لأبی كما استغفر ابراهیم لابیہ^۴ ای لاستغفرن لعمی العاق القاطع للرحم کرمأ منی كما استغفر ابراهیم لعمه العاق القاطع كذلك و هذا غیر مستبعد من رحمته صلی الله علیه و اله و سلم الا ترى کیف حمل قوله تعالی (استغفر لهم أولا تستغفر لهم)^۵ علی التخییر و جعل العدد للمفهوم حتی یتوصل بذلك الی الاستغفار لاکبر اعداء الله تعالی و اعدائه راس المنافقین و البسه قمیصه و نزل فی قبره اتظن انه صلی الله علیه و

۱. المسد (۱۱۱): ۳.

۲. عمدة القاری، ج ۱۳، ص ۹۷.

۳. البقرة (۲): ۱۱۹.

۴. عمدة القاری، ج ۱۸، ص ۲۷۶.

۵. التوبة (۹): ۸۰.

سلم لم يفهم كلام الله او لم يعلم مراده حاشا و انما مثل ذلك حيلة فى استدار رحمة الله فيحمل اللفظ على ابعده احتمالاته الى حد لا يقال انه خالف امر الله تعالى فاذا كان هذا حاله مع من ذكرنا فكيف باقاربه و لاسيما و قد قيل له لما سئل معنى الصفح عن جبرئيل حين نزل عليه (فاعف عنهم و اصفح)^١ ان الصفح أن تعفو عن ظلمك و تعطى من حرمك و تصل من قطعك و قد امرنا صلى الله عليه و سلم بالصدقة على ذى الرحم الكاشح و قال انه افضل الصدقة فكان صلى الله عليه و سلم يستغفر لأبى لهب اقتداءً بابراهيم الى ان نزل عليه (ما كان للنبي و الذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين و لو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم)^٢ و الذى منهم من العمين هو ابو لهب لان ابا طالب فى ضحضاح من النار و الجحيم هو العظيم من النار فكانه قال كما فى حديث قد مرّ فكان ابراهيم يستغفر لأزر و قد امرتنى بالاتباع لملته و الاقتداء به فانزل عليه (و ما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدّها اياه)^٣ الآية و لا يبعد ان يكون الراوى حين سمع انه وعد صلى الله عليه و سلم انه يستغفر لعمه استبعد ان يكون ذلك ابا لهب لما جيل؟ عليه طبع البشر من بعض من يؤذيه فحمله على انه ابوطالب و صرّح باسمه على انا نقول بورود الاستغفار للأثنين و لكننا جعلنا المراد بقوله من اصحاب الجحيم ابا لهب.

ثالثها انه يجب هذا الحمل و التاويل على هذا الوجه حتى لا ينافيه وجاء صلى الله عليه و سلم كل خير و وعده الشفاعة منه له كما فى الصحيح و حتى لا يكون ابرّ الناس و اوصله و انصره و احفظه و احوط له اشقاهم و كيف يفتخر صلى الله عليه و سلم به فى قوله لله درّ ابي طالب و يشهد له بانه لو رآه صلى الله عليه و سلم و هو يستسقى على المنبر لسره ذلك و لقرت عينه و هو من اصحاب الجحيم هذا يستبعده العقل السليم فهو من النبي صلى الله عليه و سلم شهادة لابي طالب بعد موته انه كان يفرح بكلمات رسول الله صلى الله عليه و سلم و تقرّ عينه بها و ما تلك الا عن سرّ و قرّ فى قلبه من تصديقه

١. المائدة (٥): ١٣.

٢. التوبة (٩): ١١٣.

٣. التوبة (٩): ١١٤.

٤. التمهيد، ج ٢٢، ص ٦٥.

نبوته و علمه بکمالته فتأمل هذه المعانى الدقيقة و لا تكن ممن استحقها لحقارة قائلها
ف فوق كل ذى علم عليهم فى الحقيقة.

فصل و مما يدل على تصديق ابى طالب النبى صلى الله عليه و سلم ما اورده الحافظ ابن
حجر فى الأصابة فى ترجمة ابى طالب قال اخرج احمد من طريق حبة العرنى قال رايت
عليا ضحك على المنبر ثم قال ذكرت قول ابى طالب ظهر علينا و انا اصلى مع النبى صلى
الله عليه و سلم ببطن نخلة فقال ماذا تصنعان فدعاه النبى صلى الله عليه و سلم الى
الأسلام فقال ما بالذى تقول من بأسٍ و لكن و الله لا يعلونى استى ابدأ [درحاشيه اى
للصلوة] قلت هذا فى اول الإسلام قبل ان تفرض الصلاة و قد اقرّ بانه لا بأس بالتوحيد و
إباؤه عن الصلاة النفل لا يدل على اباؤه عن التوحيد كما ان الأعرابى حين قال لحضرة
النبى صلى الله عليه و سلم والله لا ازيد على الفرياض الخمس شيئاً و لا انقص لم يحكم
بكفره بل قال افلح إن صدق^۲ و فى رواية اخبر انه من اهل الجنة ثم قال و اخرج البخارى
فى التاريخ من طريق طلحة بن يحيى عن موسى بن طلحة عن عقيل بن ابى طالب قال
قالت قريش لابى طالب ان ابن اخيك هذا قد اذانا فذكر القصة فقال يا عقيل ائتنى بمحمد
قال فجئته به فى الظهيرة فقال ان بنى عمك هؤلاء زعموا انك تؤذيهم فانته عن اذاهم
فقال صلى الله عليه و سلم اترون هذه الشمس فما انا اقدر على ان ادع ذلك و فى لفظ و
لو وضعت الشمس فى يمينى و القمر فى شمالى لا ادع ذلك فقال ابوطالب و الله ما كذب
ابن أخى قط^۳.

قلت فانظر الى نفى الكذب عنه بالحلف بحضور خصماية قريش و هم قد جاؤه يشتكونه
اليه و قوله فانته عن اذاهم تعبير لقول قريش اى انهم زعموا ان هذا اذى من قبل نفسه
ليس من عند الله فقال ان كان اذى زعموا فانته عن اذاهم فلما قال انه من عند الله ييقين
كما انكم على يقين من رؤية هذه الشمس صدقه و نفى عنه الكذب ثم قال و اخرج ابن
عدى من طريق الهشيم البكا من ثابت عن انس قال مرض ابوطالب فعاده النبى صلى الله

۱. الإصابة، ج ۷، ص ۱۹۷.

۲. بداية المجتهد و نهاية المقتصد، ج ۱، ص ۱۵۶ «ياختلاف».

۳. الإصابة، ج ۷، ص ۱۹۷.

طریق آخر اخرجہ الخطیب و ابن عساکر من طریق ابن جریر الطبری ثنا سفیان بن وکیع ثنا ازهر بن سعد السمان ثنا ابن عون عن عمرو بن سعید به^۱ فلو لم یکن موحدًا لما رزقہ اللہ الماء الذی نبع للنبی صلی اللہ علیہ و سلم الذی هو افضل من ماء کوثر و من ماء زمزم والذی یری مثل هذه المعجزه یحصل فی قلبه التصدیق غالباً. هذه الأحادیث ذکرها ابن حجر فی الاصابة و قال الحافظ السیوطی فی الخصائص اخرج ابو نعیم من طریق ابی بکر بن عبدالله بن ابی الجهم عن ابيه عن جده قال سمعت اباطالب حدّث عن عبدالمطلب فذكر رؤیا عبدالمطلب ان شجرة نبتت و ان الكاهنة عبرتها بولد یخرج من صلبه یملك المشرق و المغرب یدین به الناس ثم قال لابی طالب لعلک ان تكون هذا المولود فكان ابوطالب یقول والنبی قد خرج كانت الشجرة والله ابالقاسم الامین فیقال له الا تؤمن فیقول السبّة والعار^۲ و قال اخرج ابن سعد عن عبدالله بن ثعلب بن صعیر العذری ان اباطالب لما حضرته الوفاة دعا بنی عبدالمطلب فقال لن تزالوا بخیر ما سمعتم من محمد و ما اتبعتم امره فاتبعوه و اعینوه ترشدوا^۳ قلت بعید جداً ان یعرف ان الرشاد فی اتباعه و یامر به غیره ثم یترکه هو و مما یدلّ علی تصدیقه اخبار مذکورة فی السیر و اشعار له فی مدحه صلی اللہ علیہ و سلم منها قوله:

و شق له من اسمه لیجله فذوالعرش محمودٌ و هذا محمد^۴

هكذا نسب هذا فی الإصابة لابی طالب و المعروف انه لحسان و لا مانع ان یکون حسان ضمّنه شعره و قال : قال ابن عیینه عن علی بن زید ما سمعت احسن من هذا البيت^۵ و منها قوله:

و دعوتنی و علمت انک صادقٌ و لقد صدقت و كنت قبل امیناً
و لقد علمت بان دین محمدٍ من خیر ادیان البریة دیناً^۶

۱. کفایة الطالب اللیب فی خصائص الحیب، ج ۱، ص ۱۲۴.

۲. کفایة الطالب اللیب فی خصائص الحیب، ج ۱، ص ۳۹-۴۰ «یاختلاف کثیر».

۳. کفایة الطالب اللیب فی خصائص الحیب، ج ۱، ص ۸۷.

۴. فتح الباری، ج ۶، ص ۴۰۴.

۵. الإصابة، ج ۷، ص ۱۹۷.

۶. الإصابة، ج ۷، ص ۱۹۸.

و منها قوله من قصيدة بائية مطلعها:

الا ابلغا عنى على ذات بيننا
الم تعلموا انا وجدنا محمدا
لويّاً و خصّاً من لوىّ بنى كعب
نيا كموسى خط فى اول الكتب

و بعده

و ان عليه فى العباد محبة
و لا خير ممن خصّه الله بالحب

الى ان قال:

فلسنا و رب البيت نسلم احمدا
و لما تبين منا و منكم سواف
لغراء من عضّ الزمان و لا كرب
و ايد اثرت بالقساسيه الشهب^١

الى آخرها. قال فى الأصابة و روى بعض الشيعة من طريق عبدالله بن ضميره عن ابيه عن
على رضى الله عنه انه لما اسلم قال له ابوطالب الزم ابن عمك و من طريق ابي عبيده
معمر بن المثنى عن رؤبة بن العجاج عن ابيه عن عمران بن حصين ان اباطالب قال
لجعفر بن ابي طالب لما اسلم صلى جناح ابن عمك فصلّى جعفر مع النبى صلى الله عليه و
سلم^٢ قلت فلو لا انه مصدق بدينه لما رضى لابنيه ان يكونا معه و ان يصليا معه بل و لا
كان يامرهما بالصلوة فان عداوة الدين اشدّ العداوات قال الشاعر:

كل العداوات قد تُرجى مودّتها
الا عداوة من عاداتك فى الدين^٣

ومن غرّ مدائح فيه صلى الله عليه و سلم ما رواه ابن هشام فى سيرته من قوله

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر
فعبد مناف سرّها و صميمها

فان حصلت انساب عبد منافها
ففى هاشم اشرافها و قديمها

و ان فخرت يوما فان محمدا
هو المصطفى من سرّها و كريمها^٤

قلت و هذا نطق بالوحى قبل نزوله فانه صلى الله عليه و سلم اخبر بذلك فى الاخبار
الصحيحة الكثيرة و الحديث و حى كالقرآن و منها قوله فى قصيدته اللامية الطنّانة التى
فيها:

١. السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٣٥-٢٣٦.

٢. الإصابة، ج ٧، ص ١٩٨.

٣. مجموعة الفتاوى، ج ٢٨، ص ٦٤٦.

٤. السيرة النبوية، ج ١، ص ١٧٤ فيه: «وان حصلت اشراف عبد منافها».

علینا بسوءٍ أو مُلِحٍّ بباطل
و بالله ان الله ليس بغافل

اعوذ برب الناس من كل طاعن
و بالبيت حق البيت من بطن مكة

الى ان قال:

و لما نطاعن دونه و نناضل
و نذهل عن ابنائنا و الحلائل

كذبتهم و بيت الله نيزى محمدا
و نسلمه حتى نصرع حو له

الى ان قال:

يحوط الذمار غير ذرب مواكل
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
فهم عنده فى رحمة و فواضل

و ما ترك قوم لا ابالك سيدا
و ابيض يستسقى الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم

الى ان قال:

اذا قاسه الحكام عند التفاضل
يوالى الهأ ليس عنه بغافل^۱

فمن مثله فى الناس اى مؤمل
حليم رشيد عادل غير طائش

و منها:

لدينا و لا يعنى بقول الأباطل
تقصر عنها سورة المتطاول
و دافعت عنه بالدرا و الكلاكل^۲

لقد علموا ان ابننا لا مكذب
فاصبح فينا احمد فى ارومة
حدبت بنفسى دونه و حميته

قال ابن هشام بعد رواية القصيدة كلها و هى احد و سبعون بيتا هذا ما صح له من هذه القصيدة قال و حدثنى من اتق به قال اقحط اهل المدينة فأتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فشكوا ذلك اليه فصعد المنبر فاستسقى فما لبث ان جاء من المطر ما اتاه اهل الضواحي يشكون منه المغرق فقال صلى الله عليه و سلم اللهم حوالينا و لا علينا فانجاب السحاب عن المدينة فصارحواليها كالكليل فقال صلى الله عليه و سلم لو ادرك ابوطالب هذا اليوم لسره فقال بعض اصحابه كانك يا رسول الله اردت قوله و ابيض البيت قال اجل^۳ قلت انظر شهادته له صلى الله عليه و سلم بعد موته بانه يسره كمالات رسول الله صلى الله عليه

۱. السيرة النبوية، ج ۱، ص ۱۷۶-۱۸۰.

۲. تاريخ الإسلام، ج ۱، ص ۱۶۳.

۳. السيرة النبوية، ج ۱، ص ۱۸۰-۱۸۱.

و سلم و قد نبهنا عليه فيما مرّ و منها ما قاله لما سافر به الى الشام فاخبره بحيرا بنبوتة و امره برده الى مكة و جاء نفر من اهل الكتاب يريدون قتله و هم زبير و تمام و دريس فردهم عنه بحيرا و هي هذه الابيات

فما رجعوا حتى رأوا من محمد	احاديث تجلو غم كل فواد
زبيرا و تماما و قد كان شاهدا	دريسا و هموا كلهم بفساد
فقال لهم قولوا بحيرا و ايقنوا	له بعد تكذيب و طول بعاد
كما قال للرهبان الذين تهوّدوا	و جاهدهم في الله كل جهاد
فقال و لم يملك له النصح رده	فان له ارساد كل مرصاد
فانى اخاف الحاسدين و انه	اخوالكتب مكتوب بكل مداد ^١

و منها من قصيدة بائيه يذكر فيها قريشا بنعمة اهلاك اصحاب الفيل و دفعهم عنهم قوله:

فقوموا فصلوا ربكم و تمسحوا	باركان هذا البيت بين الاخاشب
فعدكم منه بلاء و مصدق	غداة ابى يكسوم هادى الكتابيب
كثيبته بالسهل يمشى و رجليه	على القاذفات فى رؤس المناقب
فلما اتاكم نصر ذى العرش ردهم	جنود الملائك بين ساف و حاصب
فولوا سراعا هاربين و لم يوءب	على اهله ملجيش غير عصايب ^٢

در حاشيه :اصله من الجيش فحفيّف بحذف النون و وصل الميم باللام على غير قياس منه **تنبيه** عداوة قريش للنبي صلى الله عليه و سلم و قولهم انك تسبّ ابائنا و تشتم آلهمنا أدلّ دليل على ان اباه صلى الله عليه و سلم لم يكونوا مشركين عبدة اصنام و آلا لقالوا له شتمت اباءك و ان اباطالب لم يكن يعبد الأصنام و آلا لغاظه ذلك منه و لما قام معه و نصره او لقال له استثن صنمى أو توسل اليهم بالهتهم فى قصيدته المذكورة و لم يفعل بل انما توسّل بالله و بالبيت و المشاعر و بالحجاج و بالله التوفيق

فصل هذا الذى اخترناه من كون نجاته ابى طالب لما كان عنده من التصديق القلبي الكافى فى النجاة فى الآخرة هو طريق المتكلمين من ائمتنا الاشاعرة و الماتريدية رضى الله عنهم و ما دلت عليه احاديث الشفاعة المتقدمة و قد علمت انه لا منافاة بين القول بالنجاة و بين

١. سيرة ابن اسحاق، ج ٢، ص ٥٧ فيه: «فانى أخشى الحاسدين...».

٢. السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٨-٣٩.

الأحاديث الدالة على عذابه و دخوله النار لجواز كون الدخول لترك النطق بالشهادتين أو ترك الصلوة كما مرّت الأشارة إليه و هذه الطريقة جادة الاشاعرة لا يمكن ان احداً ينكرها و قد ذهب جمع من ائمة الآل الى انه كان قد اسلم و آمن بالنبي صلى الله عليه و سلم فى اوائل البعثة و لكنه كان يكتنم ايمانه حفظاً للنبي صلى الله عليه و سلم فان قريشا لاعتقادهم انه على الشرك كانوا يرعون حقوقه و ذممه و يحمون ذماره و لو اظهر الأسلام لعادوه كبقية المومنين فربما توصّلوا الى ما ارادوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد مرّ انه صلى الله عليه و سلم قال "ما نالت قريش منى حتى مات ابوطالب" ^١ هذا معناه و ممن قال بذلك الامام المنصور بالله من ائمة الزيدية حيث يقول فى جواب ابيات ابن المعتز التى اولها:

بنى عمنا راجعوا ودنا
لنا مفخر و لكم مفخر
فاتم بنوا ابنته دوننا
ما لفظه بنى عمنا ان يوم الغدير
وسيروا على السنن الاقوم
و من يعلم الحق لا يندم
و نحن بنوا عمه المسلم
يشهد للفارس المعلم
الى ان قال:

فنحن بنوا ابنته دونكم
حماءً ابونا ابوطالب
و قد كان يكتنم ايمانه
و نحن بنوا عمه المسلم
و اسلم و الناس لم يسلم
و اما الولاء فلم يكتنم
و على هذا فابوطالب من السابقين الأولين و هذا ان لم اقف عليه لغيره فانه غير بعيد من مناصرة ابي طالب له صلى الله عليه و سلم كما مرّ.
نعم ينافيه قوله صلى الله عليه و سلم فى الصحيح يا عم قل كلمة احاجّ بها يوم القيمة ^٢ و قوله لعمه العباس انى لم اسمعه الا ان يحمل قوله و اسلم على انه آمن بقلبه و لم يكن ينطق بلسانه فيرجع لما قررناه و الله اعلم.
و ادّعت الشيعة الامامية اسلامه و نطقه بالشهادتين عند الموت قال الحافظ ابن حجر فى الأصابة و ذكر جمع من الشيعة انه مات مسلماً و تمسكوا بما نسب اليه من قوله:

١. الكامل فى التاريخ، ج ٢، ص ٩١ فيه: «ما نالت قريش منى شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب».

٢. صحيح البخارى، ج ٤، ص ٢٤٧ «باختلاف يسير».

و دعوتى و علمت انك صادق (البيتين المتقدمين) قال و قد وقفت على تصنيفٍ لبعض الشيعة يثبت فيه اسلام ابى طالب بادلّةٍ منها: ما أخرجه من طريق يونس بن بكير عن محمد بن اسحق عن العباس بن عبدالله بن معبد بن عباس عن بعض اهله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما اتى رسول الله صلى الله عليه و سلم اباطالب فى مرضه قال له يا عمّ قل لا اله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة يوم القيمة قال يابن اخى و الله لو لا ان تكون مسبةً علىّ و على اهلى من بعدى فيرون انى قلتها جزعاً عند الموت لقلتها لا اقولها الاّ لأسرّك بها فلما ثقل ابوطالب روى يحرّك شفّتيه [حاشيه مالك نسخه] لا يخفى ان كلمة لا اله الا الله لا يلزم تحرك الشفّتين فالظاهر انه يلفظ بالواو و كلمة محمد رسول الله فتدبرّ [فاصغى اليه الله العباس فسمع قوله فرفع عينه فقال قد قالها و الله الكلمة التى سأله عنها انتهى^١.

قلت و لفظ ابن هشام فلما تقارب من ابى طالب الموت نظر العباسُ اليه يحرّك شفّتيه قال فاصغى اليه باذنه قال فقال يا ابن اخى لقد قال اخى الكلمة التى امرته ان يقولها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لم اسمع قال الحافظ بن حجر الحديث ضعيف و بتقدير ثبوته فقد عارضه ما هو اصح منه ففى الصحيحين من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابيه ان اباطالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه و سلم و عنده ابوجهل و عبدالله بن ابى امية فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاجّ لك بها عند الله فقال له ابوجهل و عبد الله بن ابى امية يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاجّ لك بها عند الله فقال له ابوجهل و عبد الله بن ابى امية يا اباطالب اترغب عن ملّة عبد المطلب فلم يزالا به حتى قال آخر ما قال هو على ملّة عبد المطلب فقال النبى صلى الله عليه و سلم لأستغفرن لك ما لم انه عنك و نزلت (ما كان للنبي و الذين امنوا)^٢ الاية

اقول اما كونه ضعيفاً فقد مرّت له شواهد غير واحد و سيأتى ايضا مع كونه فى المناقب و اما كونه عارضه ماهو اصح منه فالجواب انه لا يعارضه و انما تكون المعارضة اذا لم يمكن الجمع فقد اتفقوا على ان الجمع مقدم على الترجيح و هنا يمكن الجمع بان يقال قوله هذا عند حضور من ذكر من قريش و قوله الأول بعد ما ذهبوا فيكون نطقه بالشهادتين ناسخاً لحديث الصحيحين و الدليل على هذا رواية ابن هشام لحديث ابن

١. الإصابة، ج ٧، ص ١٩٨ «بإختلاف يسير».

٢. صحيح البخارى، ج ٤، ص ٢٤٧.

عباس السابقه فان فيها قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يعنى لقريش تقولون لا اله الا الله و تخلعون ما تعبدون من دونه قال فصفقوا بايديهم ثم قالوا اتريد يا محمد ان تجعل الالهة الها واحداً ان امرک لعجب ثم قال بعضهم لبعض انه و الله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون فانطلقوا و امضوا على دين اباؤکم حتى يحکم الله بيننا و بينه قال ثم تفرقوا فقال ابوطالب و الله يا ابن اخى ما رايتک کلفتهم شططا و فى نسخة سَخَطًا قال فلما قالها ابوطالب طمع رسول الله صلى الله عليه و سلم قال فجعل يقول له اى عم فانت فقلها استحلّ لك به الشفاعة الحديث المتقدم^۱ فكانه لما تفرّقوا تأخر ابوجهل و عبدالله بن ابى اميه ينتظرون جواباً اليين من رسول الله فقال ابوطالب ما قال يسمعها ان الذى طلبه النبى منهم ليس بشطط فطلب منه رسول الله أن يقولها فاجاب بما اجاب مداراةً لهما لئلا ينفرهما خشية ان يؤذوا رسول الله بعده ثم بعد ما ذهبوا كلهم و ايقن بالموت نطق بها لما كان منطويا عليه فى صحته من التوحيد و التصديق فيكون هذا الحديث ناسخاً لحديث الصحيحين لا معارضاً له كما جعل ابن شاهين و غيره حديث احياء الأبوين مع ضعفه عنده ناسخاً لحديث مسلم و غيره و قوله صلى الله عليه و سلم فى رواية ابن هشام لم اسمع^۲ لا يدل على عدم قوله فقد قال للعباس يوم بدر بعد ان قال انا كنت مسلماً لا ادري اما ظاهرک فکنت علينا و اخذ منه فداء نفسه و ثلاثة ابني اخويه و حليفه فلم يصدق عبّاساً و لم يكذبه كذلك لم يكذبه هنا و لم يصدق لان عباساً اذ ذاک لم يكن اسلم و قد ظهر لك بان هذا الجواب يُعنى عن الجواب بان ابا طالب قد علم ان عبدالمطلب كان على التوحيد فلهذا قال هو على ملة عبدالمطلب فان هذا و ان كان جواباً صحيحاً ايضاً كما سبقت منا الاشارة اليه و لكن انما يحتاج اليه عند تحقق المعارضة و قد قررنا انه لا معارضة و لا ينافيه قوله اخرما قال لان المراد آخر ما قال فى ذلك المجلس أو آخر ما راجع به رسول الله صلى الله عليه و سلم و هذا كان فى مجلس آخر و من عند نفسه من غير طلب احد منه و يفسح بذلك رواية مسلم حتى قال ابوطالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب^۳ فان الضمير المنسوب فى كلمهم لابي جهل و من معه من كفار قريش فدلّ على انه آخر

۱. السيرة النبوية، ج ۲، ص ۲۸۳-۲۸۴.

۲. السيرة النبوية، ج ۲، ص ۲۸۴.

۳. صحيح مسلم، ج ۱، ص ۴۰.

كلامه مفهم لا آخر ما تكلم به مطلقاً ثم قال الحافظ ابن حجر و من ادلته ما اخرجه من طريق المبارك عن صفوان بن عمرو عن ابن عامر الهوزني ان رسول الله صلى الله عليه و سلم خرج معارضاً جنازة ابي طالب و هو يقول وصلتك رحم قال و هو مرسل و مع ذلك فليس في قوله وصلتك رحم ما يدل على اسلامه بل فيه ما يدل على عدمه و هو معارضته اذ لو كان اسلم لمشى معه و صلى عليه انتهى^١.

اقول الدليل لا يطابق الدعوى اذ الدعوى ان كلمة وصلتك رحم لا تدل على اسلامه و الدليل على ان عدم صلته عليه لا يدل هذا ان جعلناه معارضة و ان جعلناه معنا فكذلك سند المنع يبين المنع و مع هذا فنقول بل الكلمة دالة لغة على اسلامه اذ لا رحم بين الكافر و المؤمن بعد الموت و لا انساب بينهم يومئذ و قد قالها بعد موته و اللفظة من حيث اللغة تحتل الاخبار و الدعاء و على الوجهين حاصل لأن دعاه صلى الله عليه و سلم مستجاب و عدم صلته عليه لعدم مشروعيتها حينئذ و عدم مشيه في جنازته قد يكون حذراً من سفاهة المشركين و اذاهم فقد قال اهل السير لما مات ابوطالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه و سلم من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة ابي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على راسه تراباً فدخل صلى الله عليه و سلم بيته و التراب على رأسه فقامت اليه احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب و هى تبكى و رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لها لا تبكى يا بنية فان الله مانع اباك و يقول بين ذلك ما نالت منى قريش شيئاً اكرهه حتى مات ابوطالب^٢.

هكذا رواه ابن سيد الناس في السيرة و يؤيد استعجال اذاهم له انهم قاموا من عند ابي طالب مغضبين حاقدين على رسول الله صلى الله عليه و سلم فلا يبعد ان يكون ترك المشى في جنازته اتقاء من شر اولئك السفهاء و اما كون الحديث مرسلاً فالمرسل يحتج به عند الاكثرين مطلقاً و عند الامام الشافعي و من وافقه اذا اعتضد بمسند و لو ضعيفا و هذا قد اعتضد بالمسند السابق و له شاهد آخر ضعيف سيئاتي و شاهد اخر اقوى أورده السيوطي في الخصائص قال اخرج ابن عساكر عن عمرو بن العاص سمعت رسول الله

١. الإصابة، ج ٧، ص ٢٠٠.

٢. السيرة النبوية، ج ٢، ص ٢٨٣.

صلی الله علیه و سلم يقول ان لابی طالب عندی رحماً سابلها ببلالها^۱ قال و منها ما ذكره من طریق راشد الحنّاق [الحماني] قال سئل ابو عبدالله یعنی جعفر بن محمد الصادق عن اهل الجنة فقال الانبياء في الجنة و الصالحون في الجنة و الأسباط في الجنة و اكمل العالمين يحشر محمد صلی الله علیه و سلم يقدم ادم فمن بعده من ابائه و هذه الأصناف يحدثون به و يحشر عبد المطلب به نور الانبياء و جمال الملوك و يحشر ابوطالب في زمرة فاذا صاروا في حضرة الحساب و تبوأ أهل الجنة منازلهم و دحر اهل النار ارتفع شهاب عظیم لا يشك من رآه انه عموم من النار و يحضر كل من عرف ربه من جميع الملل و لم يعرف نبیه و من حشر امة وحده و الشيخ الفاني و الطفل فيقال لهم ان الجبار تبارك و تعالی يأمركم ان تدخلوا هذه النار فكل من اقتحمها خلص الى أعلى الجنان و من كع عنها غشيتها اخرجته عن ابن بشر احمد بن ابراهيم بن يعلى بن اسد عن ابن صالح الحمادي عن ابيه عن جدّه سمعت راشد الحماني فذكرها قال الحافظ ابن حجر و هذه سلسلة شيعية غلاة في رفضهم و الحديث الأخير ورد من عدة طرق في حق الشيخ الهرم و من مات في الفترة و من ولد اكمه اعمى اصم و من ولد مجنوناً أو طرى عليه الجنون قبل ان يبلغ و نحو ذلك و ان كلاً منهم يدلي بحجة و يقول لو عقلت أو ذكرت لأمنت فيرفع لهم نار و يقال ادخلوها فمن دخلها كانت عليه برداً و سلاماً و من امتنع ادخلها كرها هذا معنى ما ورد من ذلك و قد جمعت طرقه في جزء كبير و نحن نرجو ان يدخل عبد المطلب و ال بيته في جملة من يدخلها طائفاً فينجو لكن ورد في ابي طالب ما يدفع ذلك و هو ماتقدم من آية براءة و ما ورد في الصحيح عن العباس بن عبد المطلب انه قال للنبي صلی الله علیه و سلم ما اغنيت عن عمك ابي طالب فانه كان يحوطك و يغضب لك فقال هو في ضحاح من النار و لو لا انا لكان في الدرک الأسفل فهذا شأن من مات على الكفر و لو كان مات على التوحيد لنجا من النار اصلاً و الاحاديث و الاخبار المتكاثرة طافحة بذلك انتهى كلام الحافظ ابن حجر بلفظه^۲.

اقول و بالله التوفيق ليس في الحديث ما ينكر الا كون ابي طالب في زمرة عبد المطلب و بيانه ان اخر الحديث كما اقر هو بنفسه ورد من عدة طرق و قد سقناها في سداد الدين عند

۱. تاريخ مدينة دمشق، ج ۶۶، ص ۳۳۶.

۲. الإصابة، ج ۷، ص ۲۰۱-۲۰۲ «باختلاف يسير».

بيان امتحان اهل الفترة و اما صدر الحديث فله شواهد كثيرة صحيحة منها آدم و من دونه تحت لوائى و اما ان عبد المطلب يعطى نور الأنبياء و جمال الملوك فلانه كان على التوحيد فيبعث وحده كمن اخبر النبى صلى الله عليه و سلم عن امثاله انه يبعث امة وحده و من يبعث امة وحده لا يبعد ان يعطى نور الانبياء لانه مستقل لا تابع و له شاهد روى البيهقى و ابو نعيم عن كعب الأحبار انه قال فى التوراة فى صفة امة محمد انهم فى القيامة يعطون نور الانبياء اورده السيوطى فى الخصائص الكبرى و عدّه من خصائص هذه الأمة و اما انه يعطى جمال الملوك فلانه كان سيّد قريش فى زمانه فهو فى ذلك ملحق بالملوك الذين عدلوا و ما ظلموا على انه ليس فى الحديث تصريح بان عبدالمطلب يدخل الجنة قبل الامتحان بل ظاهر السياق يدل على انه يمتحن و بعد الامتحان لا يبعد دخوله الجنة بل هو نفسه ممن جوزّه و ارتجاه و اماكون ابىطالب فى زمرة فيوجه بان يحمل توقفه فى النطق بالشهادتين على ظاهر حديث الصحيحين على انه كان بذل جهده فى الدليل فلم يظهر له احد الطرفين فيكون معذورا على ما ذكرنا عن الغزالي فى المقدمة الاولى من سدادالدين فكان حكمه حكم اهل الفترة فناسب ان يكون فى زمرة عبد المطلب بهذا الاعتبار أو بان يحمل على ان عبد المطلب صحابى على ما ذهب اليه ابن السكن و غيره و هو الذى اخترناه و ابوطالب آمن به عند موته أو انه كان مصدقا بقلبه فكان فى زمرة و اما اذا جعلنا عبد المطلب من اهل الفترة و اباطالب ممن ادرك البعثة فيبعد ذلك و لا ينافى على هذا الوجه فى عبد المطلب كونه يعطى نور الانبياء فانه قد صار من هذه الأمة و كل واحد من هذه الأمة يعطى نور الأنبياء كما تقدم على انه قد اقتدى بابراهيم فى نذره ذبح الولد و اقتدى باسمعيل فى حفر زمزم و سنّ السقاية و سنّ دية النفس مائة و له على رسوله حق الأبوة و عظم الحرم فى زمن الفيل فلا يبعد ان يعطيه الله نورالانبياء المشرعين المتبوعين و اما قوله ان حديث الصحيحين يدفع ايمانه قلنا لا منافاة كما تقدّم و قوله ان هذا شأن من مات على الكفر قلنا ليس شأن من مات على الكفر ان يكون فى ضحاح من النار بل شأنه ان يكون فى الدرک الأسفل من النار و قوله صلى الله عليه و سلم لو لا انا لكان فى الدرک الأسفل كلامٌ مفهوم واضح لأنه لو لا ان الله هداه به للايمان لمات كافرا و كان فى الدرک الأسفل كما قال صلى الله عليه و سلم فهو نظير قوله فى ولد اليهودى الذى زاره صلى الله عليه و سلم فى مرضه و عرض عليه الأسلام فاسلم و مات

الحمد لله الذي انقذه بي من النار^۱ و حينئذ ظهر لنا معنى لطيف في الحديث الاخر كان في غمرات من النار فشفعتُ فيه فاخرج الى ضحاح منها و هو ان المعنى كان مشرفا على دخول الغمرات حيث ابي يتشهد ثم شفعتُ فيه فهدها الله للأيمان و لا ينافيه هذا قوله انا لم اسمع لجواز ان الله اخبره بعد ذلك و لكونه في النار مع ان الأسلام يجب ما قبله لاحتمال انه دخل ببعض حقوق العباد الذي كانت عليه بعدالبعثه و ليس في نزول قول الله تعالى (انك لا تهدي من احببت)^۲ منافاة لهذا لان الله هو الذي هداه بعد ان آيس منه النبي صلى الله عليه و سلم ثم قال الحافظ ابن حجر و اخرج الشيعي ايضا في صفة وفاة ابي طالب من طريق علي بن محمد بن مقيم سمعت ابي سمعت جدى يقول سمعت علي بن ابي طالب يقول تبع ابوطالب عبدالمطلب في كل احواله حتى خرج من الدنيا و هو على ملته و اوصاني ان ادفنه في قبره فاخبرت رسول الله صلى الله عليه و سلم بذلك فقال اذهب فواره و انفذ لما امرك به فغسلته و كفنته و حملته الى الحجون فنيشت عن قبر عبد المطلب فوجدته متوجها الى القبلة فدفنته معه قال مقيم ما عبد علي و لا احد من آبائه الا الله تعالى الى ان ماتوا اخرجه عن ابي بشير المتقدم ذكره عن ابي برده القسمي عن الحسن بن ماشالله عن ابيه عن علي بن محمد بن مقيم قال و هذه سلسلة شيعة من الغلاة فلا تفرح به و قد عارضه ما هو اصح مما تقدم فهو المعتمد^۳ اقول كون آباء علي لم يعبدوا الا الله قد مرت ادلته بالنسبة لمن عدا ابي طالب و انهم كلهم كانوا على التوحيد في سداد الدين و مما يؤكد ذلك انه لم ينقل من احد من اعمام النبي انه قال له لم تسب آباءنا و تشتم الهتنا و تسفه احلامنا^۴ كما قالته بقية قريش فلو عرفوا من ابائهم ذلك لقالوا اترك ذكر ابائك بسوء و اما عداوة ابي لهب فبسبب مصاهرته باسفيان فكان يهوى هواهم فالظاهر ان اباطالب كان على ملتهم في ذلك و لو عبد ابوطالب صنما يلزم ان يكون اول من اشرك منهم و لم يثبت عنه بطريق ثابت ان ابا طالب اول من احدث الشرك و عبادة

۱. مسند أحمد، ج ۳، ص ۲۲۷ «باختلاف يسير».

۲. القصص (۲۸): ۵۶.

۳. الإصابة، ج ۷، ص ۲۰۲ «باختلاف يسير».

۴. فتوح الشام، ج ۲، ص ۱۴۱ فيه: «يا محمد من امرك ان تسب الهتنا و تسفه احلامنا».

الأصنام و الأصل عدم ذلك و قوله تبع عبد المطلب فى كل احواله فالمراد من مكارم الاخلاق و حماية الذمار و الرياسة و قوله حتى خرج من الدنيا و هو على ملته ان كان ملة عبد المطلب التوحيد كما مرّ فلا اشكال او غير ذلك فمعناه مدّة حياته الى آخر عمره و هو اشارة الى ما قاله ابوطالب لقريش هو على ملة عبدالمطلب و قد مر الجواب عنه فلا ينافى ان اباطالب آمن فى آخر نفس و لم يسمعه على كما لم يسمعه رسول الله صلى الله عليه و سلم و اماكون السلسلة غلاة فليس كل غالٍ يكذب و كم من الغلاة رووا منهم فى الصحيح و لا سيما فقد تجمعت شواهد متعددة باجتماعها تكتسب قوة تفيد موت ابى طالب على الايمان و لبعض هذا الحديث شاهد قد مر (در حاشيه رواية الخلا) و هو ما اخرج ابن سعد و ابن عساکر عن على قال اخبرت رسول الله صلى الله عليه و سلم بموت ابى طالب فبكى فقال اذهب فغسله و كفنه و وراه غفر الله له و رحمه ففعلت الحديث^١ على ان اعتمادنا على المسلك الأول الكافى فى النجاة و لا نحتاج الى هذا و لكنه زيادة تأكيد للمدعى و الله اعلم قال و قد استدل ايضا بقول الله تعالى "فالذين امنوا به و عزروه و نصروه و اتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون"^٢ قال و قد صدقه ابوطالب و نصره بما اشتهر و علم و نابذ قريشاً بسببه مما لا يدفعه احد من نقلة الاخبار فيكون من المفلحين. قال و هذا مبلغهم من العلم لانا نسلم انه نصره و بالغ فى ذلك لكنه لم يتبع النور الذى انزل معه و هو الكتاب العزيز الداعى الى التوحيد و لا يحصل الفلاح الا بحصول ما رتب عليه من الصفات كلها انتهى^٣.

اقول ان اريد بالفلاح اصل النجاة من النار فهو انما يترتب على الايمان الذى هو التصديق عند المحققين كما مرّ فى المقدمة فقد حصلت له و ان اريد الفلاح التام فلا يلزم من عدم حصوله الكفر الحقيقى نعم يلزم منه الكفر الشرعى على انا نقول قد اتبعه و آمن باتباعه لان الظاهر من العطف كما هو الأصل فيه ان الاتباع غير الايمان و اذا كان غيره فيحمل الايمان على التصديق و انما كان الاتباع فيما كان شرع حينئذ و لم يكن الا التوحيد و صلة الأرحام و ترك عبادة الأصنام كما مرّ عن ابى طالب انه ساله بما بعثت فاجبره انه بعث بصلة

١. الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٢٣.

٢. الأعراف (٧): ١٥٧.

٣. الإصابة، ج ٧، ص ٢٠٢.

الأرحام و ان يعبد الله لا يعبد معه غيره و لم يكن فى ذلك الوقت فرضت الصلوة و لا الزكوة و لا الصوم و لا الحج و لا الجهاد فلم يبق الا قول لا اله الا الله فان اعتبر بما يؤدى التوحيد فقد مرّ انه نطق بالوحدانيه و بحقيقه الرسالة و تصديق النبى فى اشعاره و طلب النبى صلى الله عليه و سلم ذلك منه عند وفاته ليحوز ايمان الموافاه و ان لم يعتد به فتكون تلك قرائن على انه كان مصدقا بقلبه و انما منعه من النطق به خشية ان ينسبوه الى الجزع من الموت و الخوف من الموت عندهم عار و قد كانوا عريقين فى السيادة و المفاخر بحيث لا يرضون ان ينسب اليهم اقل قليل مما يخالفها فلا يبعد ان يكون ذلك عندهم عظيما.

فايدة قال ابن هشام حدثنى زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق قال تداعت قبائل من قريش الى حلف الفضول فاجتمعوا له فى دار عبدالله بن جذعان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوى لشرفه و سنّه فكان حلفهم عنده و هم بنوا هاشم و بنوا المطلب و اسد بن عبدالعزى و زهرة بن كلاب و تيم بن مرة فتعاقدوا على أن لا يجردوا بمكة مظلوما من اهلها او غيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه و كانوا على من ظلمه حتى ترد مظلمته فسّمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول.

قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن زيد بن المهاجر ابن قنفذ التيمى انه سمع طلحة بن عبدالله بن عوف الزهرى يقول قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لقد شهدت فى دار عبدالله بن جذعان حلفا ما احب ان لى به حمر النعم لو ادعى به فى الإسلام لاجبت انتهى^١.

فهذا الحلف كان اول من دعا اليه بنوا هاشم و بنوا المطلب و رئيسهم ابوطالب و هو مما حضره النبى صلى الله عليه و سلم قبل النبوة و اكده فى الإسلام فهذا الذى كانوا عليه عين ما جاء به النبى صلى الله عليه و سلم و هم على ذلك بعد البعثة فاذا عمل به ابو طالب بعد البعثة و امر النبى به جاز ان يقال اتبعه و هذا الحلف معمول به فى الاسلام كما دل عليه الحديث المارّ و قد ذهب اليه جمع من الصحابة كالحسين بن على و عبدالله بن الزبير و المسور بن مخرمه و عبد الرحمن بن عثمان التيمى و غيرهم فقد روى ابن هشام فى السيرة انه كان بين الحسين بن على بن ابى طالب و الوليد بن عتبة بن ابى سفيان منازعة فى مال كان بينهما بذى المروة و كان الوليد يومئذ امير المدينة من عمل عمه

معاويه فكان الوليد تحامل على الحسين فى حقّه لسلطانه فقال له الحسين احلف بالله لتنصفنى من حقى او لأخذنّ سيفى ثم لأقومنّ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم لأدعونّ بحلف الفضول فقال عبدالله بن الزبير و هو حاضر و انا احلف بالله لئن دعا به لأخذن سيفى ثم لاقومن معه حتى ينصف من حقه او نموت جميعاً قال و بلغت المسور بن مخرمه بن نوفل الزهرى و عبدالرحمن بن عثمان بن عبدالله التيمى فقالا مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة انصف الحسين من حقه حتى رضى رضى الله عنه^١.

قال اقضى القضاة الماوردى فى الاحكام السلطانية و هذا و ان كان فعلا جاهليا دعتهم اليه السياسة فقد صار بحضور رسول الله صلى الله عليه و سلم له و ما قاله فى تأكيد امره حكما شرعيا و فعلا نبويّاً انتهى.

و لم يكن بنو عبد شمس بن عبد مناف و بنو نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول و لما قدم محمد بن جبير و كان اعلم قريش على عبدالملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير فقال له يا ابا سعيد الم نكن نحن و انتم يعنى بنى عبد شمس ابن عبد مناف و بنى نوفل ابن عبد مناف فى حلف الفضول قال انت اعلم قال لتخبرنى يا ابا سعيد بالحق من ذلك قال لا والله لقد خرجنا نحن و انتم منه قال صدقت^٢ و الله اعلم.

فايده اخرى لما خطب رسول الله صلى الله عليه و سلم خديجة مضى معه حمزة و ابوطالب و حضر ابوبكر عقده و رؤساء مضر فخطب ابوطالب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم و زرع اسمعيل و ضئضى معد و عنصر مضر و جعلنا حضنة بيته و سواس حرمه و جعل لنا بيتا محجوجاً و حرما آمنا و جعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل الا رجح به فان كان فى المال قلّ فان المال ظل زائل و امر حائل و محمد من قد عرفتم قرابته و قد خطب خديجة بنت خويلد و بذل لها من الصداق ما اجله و عاجله من مالى كذا و كذا و هو و الله بعد هذا له بناء عظيم و خطر جليل^٣ فزوجها ابوها منه و قيل عمها و قيل اخوها رواه ابن هشام فى سيرته و لنكتف بهذا المقدار فان فيه كفاية لأولى الأبصار الجالين عين بصيرتهم بكحل الاعتبار و الحمد لله رب

١. السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٧-٨٨.

٢. السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٨.

٣. تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ق ٢، ص ٥ «ياختلاف».

العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم ختم الله لنا بالخير و الحسنى و فتح بنوره منا العين الوسناً أمين و قد فرغ من تنميق هذه الرسالة يوم السبت الثامن و العشرين من شهر جمادى الاخرى من عام واحد و مائه و الف فى دمشق الشام لفقير الى الله تعالى محمد سعيد بن حسين القرشى الكوكنى ثم المدنى النقشبندى غفر الله له و لوالديه و لمشايخه و لجميع المسلمين و المسلمات و الحمد لله رب العالمين. أمين.

منابع

- الموافق. للقاضى عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجى (ح ٦٨٠ - ٧٥٦). تحقيق عبد الرحمن عميرة. الطبعة الأولى، ٣ مجلدات، بيروت، دار الجيل، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- شرح الموافق. للسيد الشريف على بن محمد الجرجانى (م ٨١٦). الطبعة الأولى، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م.
- شرح صحيح مسلم. لأبى زكريا يحيى بن شرف النووى الشافعى (م ٦٧٦). ١٨ مجلدا، بيروت، دار الكتب العربى، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- الطبقات السنية فى تراجم الحنفية. لتقى الدين بن عبد القادر التميمى (م ١٠١٠). تحقيق عبد الفتاح الحلو. ٤ مجلدات، دار النشر.
- عمدة القارى. لبدر الدين ابو محمد محمود بن احمد العيني (م ٨٥٥). ٢٥ مجلدا، بيروت، دار احياء التراث العربى.
- المعجم الكبير. لأبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (٢٦٠ - ٣٦٠). إعداد حمدى عبد المجيد السلفى. الطبعة الثانية، ٢٥ مجلدا، دار احياء التراث العربى.
- مسند أحمد. لأبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى (١٦٤ - ٢٤١). ٦ مجلدات، بيروت، دار صادر.
- السنن الكبرى. لأبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى (٣٨٤ - ٤٥٨). ١٠ مجلدات، دار الفكر.
- مسند الشاميين. لأبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (٢٦٠ - ٣٦٠). إعداد حمدى عبد المجيد السلفى. الطبعة الثانية، ٤ مجلدات، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
- صحيح مسلم. لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابورى (٢٠٦ - ٢٦١). ٨ مجلدات، بيروت، دار الفكر.
- روضة الطالبين. لأبى زكريا يحيى بن شرف النووى دمشقى (م ٦٧٦). تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معرض. ٨ مجلدات، بيروت، دار الكتب العلمية.
- طبقات الشافعية الكبرى. لعبد الوهاب بن على السبكي (٧٢٧ - ٧٧١). تحقيق محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو. ١٠ مجلدات، دار احياء الكتب العربية.
- الكشف و البيان عن تفسير القرآن. لأبى اسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى (م ٤٢٧). تحقيق أبى محمد بن عاشور. الطبعة الاولى، ١٠ مجلدات، بيروت، دار احياء التراث العربى، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
- سنن أبى داود. لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥). تحقيق سعيد محمد اللحام. الطبعة الاولى، مجلدان، دار الفكر، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور. لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٨٤٩ - ٩١١). ٦ مجلدات، بيروت، دار المعرفة للطباعة و النشر.
- جامع البيان عن تأويل آى القرآن. لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (م ٣١٠). ٣٠ مجلدا، دار الفكر، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

- معانى القرآن. لأبى جعفر النحاس (م ٣٣٨). تحقيق الشيخ محمد على الصابونى. الطبعة الاولى، ٦ مجلدات، جامعة أم القرى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- كتاب الام. لأبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى (١٥٠ - ٢٠٤). الطبعة الثانية، ٨ مجلدات، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير. لمحمد بن عبد الرؤوف المناوى (٩٥٢ - ١٠٢٩/١٠٣١). الطبعة الاولى، ٦ مجلدات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- الطبقات الكبرى. لمحمد بن سعد كاتب الواقدي (١٦٨ - ٢٣٠). ٨ مجلدات، بيروت، دار صادر.
- مجمع البحرين و مطلع التبرين. للشيخ فخر الدين بن محمد الطريحي (٩٧٩ - ١٠٨٧). إعداد السيد أحمد الحسينى. الطبعة الثانية، ٦ مجلدات، طهران، المكتبة المرتضوية، ١٣٤٢ ش.
- فتح البارى شرح صحيح البخارى. لأحمد بن على بن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢). الطبعة الثانية، بيروت، دار المعرفة.
- الإتيقان فى علوم القرآن. لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٨٤٩ - ٩١١). تحقيق سعيد المندوب. الطبعة الاولى، مجلدان، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
- سنن الترمذى. لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (٢٠٩ - ٢٧٩). تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف. الطبعة الثانية، ٥ مجلدات، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- المستدرک على الصحيحين. لأبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى (م ٤٠٥). ٤ مجلدات، بيروت، دار المعرفة.
- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبى حاتم). لعبد الرحمن بن محمد ابن ادريس الرازى ابن أبى حاتم (م ٣٢٧). ١٣ مجلداً، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- المحلى. لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم (م ٤٥٦). ١١ مجلداً، دار الفكر.
- سنن ابن ماجه. لأبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى (٢٠٧/٢٠٩ - ٢٧٥/٢٧٣). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. مجلدان، دار الفكر.
- كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى). لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٨٤٩ - ٩١١). مجلدان، حيدر آباد الدكن، دار الكتب العربى، ١٣٢٠.
- المصنف. لعبد الله بن محمد بن أبى شيبه الكوفى (م ٢٣٩). تحقيق سعيد اللحام. الطبعة الاولى، ٨ مجلدات، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.
- لسان العرب. لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصرى (٦٣٠ - ٧١١). ١٥ مجلداً، قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥ هـ
- المعجم الأوسط. لأبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (٢٦٠ - ٣٦٠). ٩ مجلدات، دار الحرمين، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- السنة. لأبى بكر عمرو بن أبى عاصم الضحاك بن مخلد الشيبانى (م ٢٨٧). تحقيق محمد ناصر الدين الالبانى. الطبعة الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامى، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. لعلاء الدين على بن بلبان الفارسى (٦٧٥ - ٧٣٩). تحقيق شعيب الارنؤوط. الطبعة الثانية، ١٦ مجلداً، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
- الموضوعات. لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى القرشى (٥١٠ - ٥٩٧). تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان. الطبعة الاولى، ٣ مجلدات، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م.
- الإصابة فى تمييز الصحابة. للحافظ أحمد بن على المعروف بابن حجر العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢). تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض. الطبعة الاولى، ٨ مجلدات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
- سبل الهدى و الرشاد. لمحمد بن يوسف الصالحى الشامى (٩٤٢ م) تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود و

- الشيخ علي محمد معوض. الطبعة الاولى، ۱۲ مجلدا، بيروت، دار الكتب العلمية، ۱۴۱۴ هـ / ۱۹۹۳ م.
- تقريب التهذيب. للحافظ أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني (۷۷۳ - ۸۵۲). تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. الطبعة الثانية، مجلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، ۱۴۱۵ هـ / ۱۹۹۵ م.
- زاد المسير في علم التفسير. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي (۵۱۰ - ۵۹۷). تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله. الطبعة الاولى، ۸ مجلدات، بيروت، دار الفكر، ۱۴۰۷ هـ / ۱۹۸۷ م.
- التمهيد. لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري الأندلسي (م ۴۹۳). تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري. ۲۴ مجلدا. المغرب العربي، ۱۳۸۷ هـ
- بداية المجتهد و نهاية المقتصد. لمحمد بن أحمد بن رشد القرطبي (۵۲۰ - ۵۹۵). مجلدان، بيروت، دار الفكر، ۱۴۱۵ هـ / ۱۹۹۵ م.
- السيرة النبوية. لأبي محمد عبد الملك بن هشام (م ۲۱۳/۲۱۸). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ۴ مجلدات، مصر، ۱۳۸۳ هـ / ۱۹۶۳ م.
- مجموعة الفتاوى. لابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحكيم (۶۶۱ - ۷۲۸). ۳۵ مجلدا.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. لمحمد بن أحمد الذهبي (م ۷۴۸). تحقيق عمر عبد السلام تدمري. الطبعة الثانية، ۵۲ مجلدا، بيروت، دار الكتب العربي، ۱۴۰۹ هـ / ۱۹۹۸ م.
- سيرة ابن اسحاق. لمحمد بن اسحاق المطلبی (۸۵ - ۱۵۰). تحقيق محمد حميد الله. ۵ مجلدات، معهد الدراسات و الابحاث للتعريف.
- الكامل في التاريخ. لأبي الحسن علي بن أبي الكرام محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (۵۵۵ - ۶۳۰). ۱۲ مجلدا، بيروت، دار صادر، ۱۳۸۵ هـ / ۱۹۶۵ م.
- صحيح البخاري. لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (۱۹۴ - ۲۵۶). ۸ مجلدات، دار الفكر، ۱۴۰۱ هـ / ۱۹۸۱ م.
- تاريخ مدينة دمشق. لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله المعروف بابن عساكر (۴۹۹ - ۵۷۱). إعداد علي شبري. ۷۰ مجلدا، بيروت، دار الفكر، ۱۴۱۵ هـ / ۱۹۹۵ م.
- فتوح الشام. لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي (م ۲۰۷/۲۰۹). مجلدان، بيروت، دار الجيل.
- تاريخ ابن خلدون. لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (م ۸۰۸). الطبعة الرابعة، ۸ مجلدات، بيروت، دار احياء التراث العربي.